

حَلْقَةُ الْقِرَاءَةِ

٢٠١٤

بَيْنَ

الْمُعَزِّلَةِ وَأَهْلِ السُّنْنَةِ

تأليف شيخ الإسلام

الإمام فخر الدين الرازي

محمد بن عمر المترف ٦٦٦ هـ

تَحْقِيق

د. أَمْرَ حَبَّازِي

وَلِرَجْمِيَّةِ

بَيْرُوت

<https://arabicdawateislami.net>

جميع الحقوق محفوظة لدار الجليل

الطبعة الأولى

١٤١٣ - ١٩٩٢م

التقديم للكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم
والصلوة والسلام على النبي الأمي الكريم . وعلى أصحابه الكرام الطيبين ، وعلى
من تبعهم بالخير إلى يوم الدين .

أَمَا بَعْدُ .

فإن المسلمين كلهم يعتقدون بأن خالق هذا العالم المحسوس هو الله وحده، وهو رب العالمين. ولا شريك له ولا نذله ولا مثل له. واعتقادهم صحيح. أما أنه واحد، فلقوله تعالى: ﴿ قل : هو الله أحد * الله الصمد * لم يلد * ولم يُولد * ولم يكن له كفوا أحد ﴾^(١) وأما أنه مُتَّهَّ عن الضد والنذر والشبه والمثل ، فلقوله تعالى: ﴿ لِيْسَ كَمُثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾^(٢) ولقوله: ﴿ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كَفُوا أَحَدٌ ﴾ أي مثلا.

(١) سورة الاخلاص .

(٢) سورة الشورى ، الآية ١١ .

ويقول علماء الكلام^(١) من المسلمين: إن القرآن تكلم عن الله بسان بني آدم . ومعنى هذه العبارة: أن الله تعالى كلام البشر على قدر عقولهم . وذلك بأن مثل نفسه كإنسان — وما هو بإنسان — ومخاطب البشر عن نفسه ، كما يخاطب بعضهم بعضاً عن نفسه . وذلك ليقدر البشر على تصور ذات الله وصفاته .

وعلماء الكلام من المسلمين يطلقون على مشابهة صفات الله لصفات البشر ، لقب «المشاكلة» ففي قوله تعالى: ﴿وَمُكْرِرَا وَمُكْرِرَا وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِين﴾^(٢) عبر الله عن نفسه بأنه يمكر ، مشاكلة لفعلهم وهو المكر . وليس الله بما يمكر على ما هو المتعارف من لفظ «المكر» على الحقيقة . لأن لفظ «المكر» على الحقيقة معناه: التغير والانفعال . وما يدلان على الصعف وسوء النية . والله تعالى متزه عن كل نقص ، ولكنه عبر عن نفسه بـ «مكر» لأنه يكلم الناس بلسانهم على قدر عقولهم .

وفي قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا آسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُم﴾^(٣) عبر عن نفسه كأنه إنسان يأسف . وهو ليس إنساناً ولا يأسف . يدل على أنهم قدروا على إغاظته . وهو قادر على كل شيء . وفي قوله تعالى: ﴿نَسَوَ اللَّهُ فَنَسِيهِم﴾^(٤) عبر عن نفسه كأنه إنسان ينسى . وليس هو بإنسان ولا ينسى . لأن التسبيح يدل على الغفلة . والغفلة من صفات الإنسان ولا تتجاوز في حق الإله الذي يراقب عباده ويعلم أفعالهم .

(١) علم الكلام هو علم التوحيد ، ويسمى أيضاً بعلم العقيدة ، أو الفلسفة الإسلامية .

(٢) سورة آل عمران ، الآية ٥٤ .

(٣) سورة الزخرف ، الآية ٥٥ .

(٤) سورة التوبية ، الآية ٦٧ .

هذا هو معنى أن القرآن تكلم عن الله بلسانبني آدم . ولازم أن يعرف الناس أن الله — عز وجل — واحد . ولازم أن يعبدوه هو وحده . ولازم أن يعتقدوا أن الله ليس بجسم ، ولا شبه بينه وبين مخلوقاته في شيء من الأشياء . فوجوده لا يشبه وجود المخلوقات ، وحياته لا تشبه حياة الأحياء من المخلوقات ، وعلمه لا يشبه علم الذي له علم في مخلوقاته .

فلو قلنا مثلاً: الله عالم ، وقلنا: زيد عالم . فإن لفظ عالم لفظ مشترك . ولا يقال في هذه الحالة: إن علم الله أكثر من علم زيد . لأنه يلزم منه مساواة الحال بالخلق . وذلك لأن الكثرة والقلة ، متشابهان بال النوع ، ضرورة . ويجتمعها حد ما واحد . وكل ما يناسب إليه تعالى هو مماثل ومعاير لصفات البشر من كل جهة ، حتى لا يجتمعها حد أصلاً .

والصفات الذاتية لله تعالى . وهي القدرة والإرادة والعلم والسمع والبصر ... الخ . نسبها علماء الكلام لله تعالى باعتبار نسب مختلفة بين الله تعالى وبين مخلوقاته ، وذلك أنه قادر أن يخلق ما يخلق ، ومرشد لإيجاد الموجود على ما أوجد به ، وعالم بما أوجد . فهي صفات باعتبار المخلوقات . لا أن هذه الصفات موجودة لله باعتبار ذاته . لأنه لا يقدر على ذاته ، بل يقدر على غيره . ولا توصف بإرادته ذاته ، بل إرادته على خلقه ما خلق . ويستدلون على رأيهم بقولهم: إنما لا نقول إن في ذاته معنى زائداً ، به خلق السموات ، ومعنى آخر به خلق الأرض . ولا نقول إن فيه معنى زائداً ، به يقدر . ومعنى آخر ، به يريد ، ومعنى ثالثاً ، به يعلم مخلوقاته . بل ذاته واحد بسيطة ، ولا معنى زائد عليها بوجه . وتلك الذات خلقت ما خلقت ، وعلمت ما علمت ، لا معنى زائد أصلاً . بل معنى جهة الشبه التي يكلم الله بها بني آدم على قدر عقولهم .

فعلى قدر عقولهم يعلمون أن العالم غير « زيد » وإذا كان زيد فقيراً ولكنه عالم ، فإنه يوصف بالعلم ولا يوصف بالغنى . فالذات واحدة وهي « زيد » والصفات متغيرة ومتعددة . ومع ذلك لا يقال: إن « زيداً » وصفاته أجسام

متعددة ، بل يقولون : إن الصفات متغيرة فيه ، ولا تُرى متعددة ، بل يُرى ما يدل عليها .

والدليل على أنها ليست بمعنى زائد أصلاً هو : أن وجود الخشب مثلاً صفة عارضة للخشب الذي هو موجود فالوجود عارض للموجود . ولذلك هو معنى زائد على حقيقة الموجود . وإن ما لوجوده سبب ، فإن وجوده معنى زائد على حقيقته . وجود الله : ذاته وحقيقة . وذاته هي وجوده . أي ليست هي ذات ، عرض لها إن وجدت ، فيكون وجودها معنى زائداً عليها . إذاً هو واجب الوجود دائماً ، لا طارئاً عليه ، ولا عارضاً عرض له . فإذاً هو موجود لا بوجود زائد على الذات ، وكذلك هو حي لا بحياة زائدة ، وقدر لا بقدرة زائدة ، وعالم لا بعلم زائد . بل الكل راجع لمعنى واحد ، لا تكثير فيه .

وكل ما تجده في الأخبار من وصفه تعالى : بالأول والآخر . فهو مثل وصفه تعالى بالعين والأذن . والقصد بذلك : أنه تعالى لا يتحقق تغير ، ولا يتتجدد له معنى ، بوجه ، لا أنه تعالى واقع تحت الزمان ، فتحصل مقاييسه مما ، بينه وبين غيره مما في زمان ، فيكون أولاً وأخراً . وإنما هذه الالفاظ كلها على لسانبني آدم . وعلماء الكلام الذين قدمنا خلاصة آرائهم : هم المعتزلة^(١) الذين أثروا في علماء الكلام من بني إسرائيل . فقد قال موسى بن ميمون ، المتوفى في سنة ٦٠٣ هـ : « اعلم : أن العلوم الكثيرة التي كانت في ملتنا في تحقيق هذه الأمور — أي أمور الله وصفاته — تلقت بطول الأزمان ، وباستيلاء الملل الجاهلة علينا ، وبكون تلك الأمور لم تكن مباحة للناس كلهم — كما بينا — ولا كان الشيء المباح للناس كلهم ، إلا نصوص الكتب فقط . وقد علمت : أن الفقه المروي ما كان مدوناً في

(١) المعتزلة هم جماعة من علماء المسلمين ، وقيل في سبب تسميتهم : إنهم اعتزلوا الحرب بين علي وأتباعه ، وبين معاوية وأتباعه على جهة الخصوص ، واعتزلوا عن الحروب التي دارت بين المسلمين على جهة العموم ، وعكفوا على تفسير الدين والرد على الخصوص . وكان واصل بن عطاء رئيسهم في زمان الأمويين . وكان العباسيون يعظمونهم ويحترمونهم .

القديم ، للأمر المستفاض في الملة . وهو : «الأمور التي أخبرتك بها شفافها ، لا يجوز لك أن تكتبها» وكان ذلك هو غاية الحكمة في الشريعة ؛ لأنه ضرب مما وقع فيه أخيرا . وهو كثرة الآراء وتشعب المذاهب وإشكالات تقع في عبارة المدون ، وسهوا يصحبه ، وحدوث الانقسام بين الناس ، ويصيرون فرقا ، ويتحيرون في الأعمال ..

أما هذا النزد اليسير الذي تجده من الكلام في معنى التوحيد ، وما يتعلق بهذا المعنى لبعض المخاونين ، وعند القرائين ، فهي أمور أخذوها عن المتكلمين من أجل الإسلام ، وهي نزرة جدا بالإضافة إلى ما ألفته فرق الإسلام في ذلك . واتفق أيضاً : «أن أول من ابتدأ في الإسلام بهذه الطريقة كانت فرقة واحدة ، وهي المعتزلة . فأخذ عنهم أصحابنا ما أخذوا ، وسلكوا في طريقهم . وبعد ذلك بدة حدثت في الإسلام فرقة أخرى . وهم الأشعرية . وحدثت لهم آراء أخرى . ولا تجد عند أصحابنا من تلك الآراء شيئا» (١) . ا.ه.

وصفة الكلام الله تعالى ليس معناها عندهم : أن الله يتكلم بحروف وأصوات كما يكلم أحذنا صاحبه . بل معناها : أن الله إذا أرادا أن يتكلم ، فإنه يقدر أن يخلق كلاما . كما إذا أراد أن يحيي ميتا ، فإنه يقدر في حال إرادته هو على إحيائه . وكما إذا أراد أن يوجد شيئا ، ليس موجودا من قبل ، فإنه يوجده بقوله : «كن»

يقول الإمام فخر الدين الرازي عن مذهب المعتزلة في صفة كلام الله تعالى : «اعلم : أن الأمة متفقة على إطلاق لفظ المتكلم على الله تعالى . إلا أن هذا الاتفاق ليس إلا في اللفظ . وأما المعنى فغير متفق عليه .

أما المعتزلة فقالوا : إن الإنسان لا يمكنه أن يعيش وحده ، بل ما لم يشتعل كل واحد بإعانة الآخر لم يحصل لكل واحد منهم مقصوده بال تمام ، وما لم

(١) ص ١٧٩ - ١٨٠ ج ١ دلالة المخاونين .

يعرف كل أحد ما في قلب الآخر من جهات الحاجات ، لا يمكنه الاشتغال بإعانته . فاحتاج الإنسان إلى وضع طريق يعرف به غيره ما في قلبه من فنون الحاجات . فاصطلحوا على جعل هذه الأصوات المقطعة بهذه التقطيعات المخصوصة ، معرفة لما في قلوبهم من الأحوال . وقد كان يمكنهم وضع طريق آخر سوى هذا الطريق من الإشارة والإيماء ، وتصفيق اليد والكتابة ، إلا أن هذا الطريق كان أسهل وأيسر .

إذا عرفت هذا ، فتقول : إنه تعالى إذا أراد شيئاً أو كره شيئاً ، خلق هذه الأصوات المخصوصة في جسم من الأجسام ، لتدل هذه الأصوات على كونه تعالى مريداً لذلك الشيء المعين ، أو كارها له ، أو كونه حاكماً به ، بالتفني أو بالإثبات . وهذا هو المراد من كونه تعالى متكلماً^١ . هـ .

فالمعتزلة لا يثبتون الله كلاماً بحرف أو بصوت ، وإنما يثبتون له القدرة على الكلام في أي وقت . كما يثبتون له الإرادة في أي وقت . وينمون عنه الحرف والصوت ، لثلا يثبتوا الله جسماً ، متكلماً من مكان ما . وهم قد نفوا الجسمية من قوله تعالى : «ليس كمثله شيء»^(١) ونفوا المكان من قوله تعالى : «وهو معكم أينما كنتم»^(٢) .

وعلى هذا يقولون : إن الله دائم القدرة على الكلام ، وهو ينشئه في حينه إنشاء . فقد قدر على قوله للسموات والأرض : «هأيَا طوعاً أو كرهاً»^(٣) في بدء الخليقة . وقدر على أن يكلم إبراهيم عليه السلام بصحف أنزلاها عليه . وجاء موسى عليه السلام بعد إبراهيم على جهة التقرير بائتين وخمس عشرة من السنين . إذا هو ابن عمران بن لاوي بن يعقوب بن اسحق بن إبراهيم . وكلمه

(١) سورة الشورى ، الآية ١١ .

(٢) سورة الحديد ، الآية ٤ .

(٣) سورة فصلت ، الآية ١١ .

بالتوراة ﴿موعظة وتفصيلاً لكل شيء﴾^(١) وجاء داود عليه السلام بعد موسى بخمسينات عام تقريباً وكلمه بالزبور. وجاء عيسى عليه السلام بعد داود بألف عام تقريباً وكلمه بالإنجيل. وجاء محمد عليه السلام بعد عيسى بخمسينات واحدى وسبعين سنة وكلمه بالقرآن. وإبراهيم مخلوق محدث فصحّه وقد نزلت من بعد ولادته تكون مخلوقة محدثة. وموسى مثله وصحّفه مثل صحّفه، وداود مخلوق محدث فزابوره مثله. إذ هو من بعده. وعيسى مخلوق محدث ، وإنجيله مثله . ومحمد محدث وقرآنـه مثله . وذلك لقوله تعالى : ﴿اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون * ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث ، إلا استمعوه وهم يلعبون﴾^(٢) .

والمعتزلة يقولون : إن القرآن تكلم عن الله بلسانبني آدم . فنسب إليه أن الله يتكلـم كما يتكلـم بنـو آدم . وليس من مشابهة حاصلة بين الله وبين خلقـه ، حتى نسبـت الله كلامـا بحرف وصوت ككلامـ البشر .

والقرآن عند المعتزلة مخلوق محدث ، لأن الله القادر على كل شيء ، قد قدر على خلقـ محمد عليه السلام من قبل أن ينزل القرآن عليه ، ولأنـ في القرآن آيات تدلـ على أنه وُجدـ بعد وجودـ حوادث حصلـت من قبلـه . فغزوـة بدرـ حدثـت من قبلـ أنـ ينزلـ في شأنـها قرآنـ يـتـلى على طولـ الزمانـ ، والمرأـة التي جـادـلتـ الرسـولـ في زوجـها ، نـزلـ من بعدـ مجـادـلـتها قـرـآنـ . ولا يـدـلـ العـقـلـ على قـدـمـ القرآنـ قبلـ الحـوـادـثـ التي هي مـذـكـورةـ فيهـ .

وعـلمـاءـ بـنـي إـسـرـائـيلـ يـقـولـونـ فيـ التـورـاةـ ، كـماـ يـقـولـ المـعـتـزلـةـ فيـ الـقـرـآنـ منـ حيثـ الـقـدـمـ وـالـحـدـوـثـ سـوـاءـ بـسـوـاءـ . فـفـيـ دـلـالـةـ الـحـائـرـينـ مـاـ نـصـهـ : «ـ مـاـ أـرـاكـ بـعـدـ وـصـوـلـكـ هـذـهـ الـدـرـجـةـ وـتـحـقـيقـكـ :ـ أـنـهـ تـعـالـىـ مـوـجـودـ لـاـ بـوـجـودـ ، وـوـاحـدـ لـاـ بـوـحـدـةـ ، تـحـتـاجـ أـنـ

(١) سورة الأعراف ، الآية ١٤٥ .

(٢) سورة الأنبياء ، الآيات ١ و ٢ .

يُبين لك نفي صفة الكلام عنه. ولا سيما بإجماع أمتنا: أن التوراة مخلوقة. والقصد بذلك: أن كلامه المنسوب إليه مخلوق. وإن ثُسب إليه، لكون ذلك القول الذي سمعه موسى: الله خلقه وابتدعه، كما خلق كل ما خلقه وابتدعه — وسيأتي في النبوة كلام كثير — وإنما القصد هنا: أن وصفه بالكلام مثل وصفه بالفعال كلها الشبيهة بأفعالنا. فأرشدت الأذهان: إلى أن ثم علم إلهياً، يدركه النبيون بأن الله كلمهم وقال لهم، حتى نعلم أن هذه المعاني التي يوصلون إلينا هي من قبل الله. لا من مجرد فكرتهم ورويتمهم^(١).

ويذكر موسى بن ميمون آيات من التوراة. فيها لفظ الكلام قد جاء على الحقيقة وعلى المجاز. فيقول: إن الكلام أو القول لفظان يدلان بالحقيقة — على النطق باللسان. مثل قوله: موسى يتكلم — «وقول فرعون» ويدلان بالمجاز على المعنى المتصور في العقل من غير أن يعطى به. مثل: «فقلت في قلبي» — «فتكلمت في قلبي» — «وينطق قلبك» — «لك نطق قلبي» — «وقال عيسو في قلبه» وهذا كثير.

ويقعان على الإرادة. مثل: «وهم أن يقتل داود» فكانه قال: وأراد قتله أي هم به. ومثل: «أتريد أن تقتلني؟» وهو مثل «وهم أن يقتل داود» في شرحه ومعناه. وهذا أيضاً كثير.

وقال ما نصه: «فكل قوله أو كلام جاءت منسوبة لله ، فهي من المعنين الآخرين. أعني: أنها إما كناية عن المشيئة والإرادة ، وإما كناية عن المعنى المفهوم من قبيل الله ، سواء علم بصوت مخلوق أو علم بطريق من طرق النبوة — التي سنبيّنها — لا أنه تعالى تكلم بحرف وصوت ، ولا أنه تعالى ذو نفس ،

(١) ص ١٦٢ ج ١ دلالة الحاذرين.

فترتسم المعاني في نفسه ، و تكون في ذاته معنى زائدا على ذاته ، بل تعلق تلك المعاني به و نسبتها إليه ، نسبة الأفعال كلها»^(١).

ويُفسر علماء بنى إسرائيل كلام الله تعالى لموسى عليه السلام في طور سيناء هكذا :

(أ) الخطاب من الله لموسى ، كان لموسى وحده . وهو ينزل إلى أسفل الجبل وينبئ الناس بما سمع من نص التوراة . لقوله : «أَنَا قَائِمٌ مِّنْ رَبِّي وَبَيْنَكُمْ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ # لَكِي أَبْلَغُكُمْ كَلَامَ رَبِّكُمْ» [ثنيات ٥ : ٥].

(ب) ويقال : إن موسى وبني إسرائيل سمعوا معاً قول الله تعالى : «أَنَا الرَّبُّ إِلَهُكُمُ الَّذِي أَخْرَجَكُم مِّنْ أَرْضِ مَصْرُونَ مِنْ بَيْتِ الْعَبُودِيَّةِ، لَا يَكُنْ لَكُمْ آتَهُ أُخْرَى أَمَامِي» [خروج ٢٠ : ٢] بعنوان : أنها وصلت لهم مثل ما وصلت لموسى ، ولم يكن موسى ، موصلا لها لهم .

(ت) أما صوت الرب ، أعني الصوت المخلوق الذي منه فهم الكلام ، فلم يسمعوا غير مرة واحدة فقط .

(ث) كل موضع في التوراة نصه : «وَيَتَكلُّمُ الرَّبُّ إِلَيْهِ مُوسَى» يترجمه «انقلبيوس» بـ «قال الله».

(ج) وحقيقة ذلك الإدراك . وكيف كان الحال فيه : خفي عنا جدا ، لأنه لم يتقدم مثله ، ولا يتأخر .

هذا ملخص ما قاله موسى بن ميمون في كلام الله تعالى مع موسى عليه السلام في طور سيناء . وهو مُصرّ على أن صوت الرب هو صوت قد خلقه الله بقدراته . وهو صوت فهموا منه كلام الله . ونص عبارته هي : «أَمَا صوتُ الرَّبِّ إِنَّمَا صوتَ الْمُخْلوقِ الَّذِي مَنْهُ فَهُمُ الْكَلَامُ» وهذا الصوت المخلوق . هو ما يُعبر عنه المعتزلة بأن الله تعالى خلق كلاما في شجرة كانت هناك . وموسى هو وبنو إسرائيل قد سمعوا كلام الله منها .

(١) ص ١٦٣ ج ١ دلالة المأثيرين .

ثم إن ابن ميمون بعد هذا التأويل صرخ بقوله : إن حقيقة هذا الموقف خافية عنا .

وهي لا تكون خافية إذا فسرنا الموقف على النحو التالي : إن كلام الله تعالى لم يوصي عليه السلام في طور سيناء : هو أن الله ألقى في نفس موسى ما به استيقن أن هذا كلام الله . أي ألممه ما يريد ، وقوى الإلهام عنده ، وطرد عنه وسوسه الشياطين ، حتى لم يعد لديه أدنى شك في أن ما ألقى في روعه هو كلام الله .

أو قد يكون الذي كلام موسى في طور سيناء هو ملاك كبير نيابة عن الله ، ويُعبر عنه بالإله مجازا . كما في قوله : «الرب إلهكم السائر أمامكم هو يحارب عنكم ، حسب كل ما فعل معكم في مصر ، أمام أعينكم ، وفي البرية حيث رأيت كيف حملت رب إهلك كما يحمل الإنسان ابنه في كل الطريق ، التي سلكتموها حتى جئتم إلى هذا المكان . ولكن في هذا الأمر لستم ولكن بالرب إلهكم ، السائر أمامكم في الطريق ليلتمس لكم مكانا لنزولكم في نار ليلا ، ليريكم الطريق التي تسيرون فيها وفي سحاب نهارا» [تشنية ١ : ٣٠] .

[٣٣] وهذا التفسير مقتبس من عباراته التي يقول فيها : «إن وصفه بالكلام مثل وصفه بالأفعال كلها الشبيهة بأفعالنا . فأرشدت الأذهان : إلى أن ثم علموا إلينا ، يدركه النبيون بأن الله كلمهم وقال لهم ، حتى نعلم أن هذه المعاني التي يوصلون إلينا ، هي من قبل الله . لا من مجرد فكرتهم ورويّتهم» .

* * *

والأشاعرة قالوا : إننا سنقيس الغائب على الشاهد .

ووجهة نظرهم في هذا القياس هي : أن الله تعالى لما كلام البشر كإنسان — وما هو بإنسان — أراد أن يصور ذاته الغائبة عن الناس ، بصورة الإنسان المشاهد ، ليقدر الإنسان على تصور ذاته . وإننا لنرى بالمشاهدة : أن «زيدا» العالم القادر ، مختلف عن «عمرو» الجاهل العاجز . ونرى أن «زيدا» يتكلم

ويسمع ويري ، وهو مختلف عن « عمرو » الذي لا يتكلم ولا يسمع ولا يرى . فإذاً الذات واحدة ، والصفات مختلفة . صفات « زيد » المتعددة ليست ذاتاً أجساماً ، بل هي صفات اعتبارية في نظر المتكلم والسامع وليس زائدة على الذات ، فإن أحداً لا يرى زيداً وبجواره صفاتة يجلس بجانبه . فنحن عدنا صفات الله ، كما نعدد صفات الشاهد ولا نقول بزيادة الصفات على الذات ، على أنها أجسام ، بل على أنها صفات اعتبارية قائمة بالذات وغير منفكة عنها ، أي ليست هي الذات ، ولا تنفك الذات عنها .

هذا كلامهم في الصفات ككل .

وأما في صفة الكلام على جهة الخصوص

فهم يقولون كما يقول المعتزلة : إن الله لا يتكلم بحرف ولا بصوت . — ولنعم ما قالوا — ثم افترقا عن المعتزلة في نسبة الكلام إلى الله . فيبينما يقول المعتزلة : كلام الله هو قدرته على إيصال أغراضه يقول الأشاعرة : نحن لا نقول إن كلامه هو قدرته لأن قدرة « زيد » غير كلامه في الشاهد المُقاس عليه الغائب . وإنما نقول : إن كلامه كلاماً نفسياً يجبول في خاطره ، ولا يتلفظ به . فهم يثبتون كلاماً ، ولا يثبتون نطقاً . ويستدللون على قولهم : بأن « زيداً » إذا أراد أن يتكلم ، فإنه يرتب الفكر في نفسه من قبل أن يتكلم به والفكر هو كلام النفس ، لقوله تعالى : ﴿ وَيَقُولُونَ فِي أَنفُسِهِمْ ﴾^(١) أي يهسرون فكراً ، لم ينطقوها به بعد . وسماه قوله : « وَالْقَوْلُ كَلَامٌ » .

وقد رد المعتزلة عليهم بقولهم : إن حد الكلام في لغة العرب التي نزل بها القرآن لا يدل على مقصودكم .

(١) سورة المجادلة ، الآية ٨ .

وأما القرآن الكريم ، وهو من كلام الله تعالى

فإن المعتزلة يقولون : هو مخلوق ومحدث وذلك لأنه نزل بعد التوراة وبعد الإنجيل . والمتزل مخلوق ومحدث ففي صدر سورة آل عمران : **آلهم * الله لا إله إلاَّ هو الحي القيوم * نزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابُ بِالْحَقِّ مَصْدِقاً لِمَا بَيْنَ يَدِيهِ وَأَنْزَلَتِ التُّورَةَ وَالْإِنْجِيلَ * مَنْ قَبْلَ هَذِهِ لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ**)١(والأشاعرة يقولون : هو قديم قدم الله . والآوامر والنواهي التي هي فيه قديمة ، وأبو لهب المذكور فيه ، كان في علم الله أنه لا يؤمن ، فكتب الله عنه في القرآن ما كتب من قبل أن يخلقه .

ففي « مذكريات التوحيد » للصف الأول الإعدادي بالمعاهد الأزهرية . يقول المرحوم حسين عبد الرحيم مكي : « فصفة الكلام تدل على الأمر بالطاعات وعلى النهي عن المحرمات ، وعلى الوعد بالثواب للمطيع ، وعلى الوعيد بالعقاب للعصي ، وعلى الإخبار بجميع ما كان وما يكون ، وعلى أن الله هو الإله الواحد القادر العالم ، المتصف بكل كمال ، والمنزه عن كل نقص ، والمختار في جميع شئونه ، وأنه الخالق لجميع الكائنات ، وأن الله رحمة وأنباء وملائكة وكتبا ، وأن الساعة آتية لا ريب فيها ، وأن هناك بعثا وحشرنا وحسابا وجنة ونارا وثوابا وعقابا . حتى لو أزيل عننا الحجاب ، وأطلعنا الله على صفة الكلام ، لفهمنا منها هذه الأشياء »)٢(ا. هـ .

وكان المعتزلة يقررون مسائل علم التوحيد على محكم القرآن ومتشابهه ، ولا يستدلون بأحاديث الآحاد في أصول الدين .

* * *

(١) سورة آل عمران ، الآيات ١ - ٤ .

(٢) ص ١٤ مذكريات التوحيد - السنة الأولى الإعدادية بالأزهر سنة ١٩٨٩ م .

يقول الشريف الرضي — رضي الله عنه — في كتابه «المجازات النبوية» ما نصه عن أحاديث الآحاد «خبر الآحاد غير جائز قبوله. لأن كل واحد من المخبرين يجوز عليه الغلط فيما يخبر به، ويصبح كونه كاذباً في قوله. ولا يجوز أن نقطع في ديننا على الشيء من وجه، يجوز الغلط فيه؛ لأننا لا نأمن بالإقدام على اعتقاده: من أن يكون جهلاً، ولا نأمن من أن يكون إخبارنا عنه كذباً، وإنما نعمل بأخبار الآحاد في فروع الدين»^(١).

* * *

والأحاديث النبوية لم تُكتب في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ولم تُكتب في عهد الخلفاء الراشدين. فقد روى مسلم في صحيحه عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «لا تكتبوا عنِّي شيئاً غير القرآن، ومن كتب عنِّي شيئاً غير القرآن، فليمحه» وما روى أن زيد بن ثابت دخل على معاوية — رضي الله عنه — فسألَه عن حديث. وما حدثه به، أمر معاوية إنساناً أن يكتبَه. فقال له زيد رضي الله عنه: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرنا أن لا نكتبَ شيئاً من حديثه. فمحاه.

وروى البيهقي عن عروة بن الزير: أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه. أراد أن يكتبَ السنن، فاستشار في ذلك أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأشاروا عليه أن يكتبه. فطفق عمر يستخِرُ الله فيها شهراً. ثم أصبح يوماً وقد عزم الله له. فقال: «إنِّي كنتُ أرِدْتُ أنْ أَكْتُبَ السنن، وإنِّي ذَكَرْتُ قوماً كَانُوا قَبْلَكُمْ، كَتَبُوا كِتَاباً، فَانكَبَّوا عَلَيْهَا وَتَرَكُوا كِتابَ اللَّهِ. وإنِّي وَاللَّهِ لَا أَبْسُ كِتابَ اللَّهِ بِشَيْءٍ أَبْدَا»^(٢).

(١) ص ٤٦ — المجازات النبوية للشريف الرضي محمد بن أبي أحد الحسين المتوفى سنة ٤٠٦ — طبعة الحلبي بالقاهرة سنة ١٩٧١ م.

(٢) تدريب الراوي للسيوطى — ص ١١ ونجمان بيان العلم وفضله / ج ١ ص ٧٦.

- وبعد مئة عام تقريباً من عصر النبوة . كتب المحدثون في كتبهم ما يلي :
- (أ) روى البخاري أن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه كتب إلى « أبي بكر ابن حزم » أن يكتب له أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم .
- (ب) ومات عمر بن عبد العزيز و« أبو بكر بن حزم » ما كان قد بعث إليه شيئاً .
- (ت) نقل الإمام السيوطي في كتاب « تنوير الحوالك » نقلاً عن الإمام ابن حجر : إن أول من دون الحديث بأمر من عمر بن عبد العزيز ، هو « ابن شهاب الزهرى » .
- (ث) يقول الأستاذ الدكتور بدران أبو العينين بدران في كتابه « الحديث النبوى الشريف تاریخه وصطلاحاته » عن جم « أبي بكر بن حزم » أو جم « ابن شهاب الزهرى » يقول : « لم يلغنا شيء من هذه الكتب الحديثية »^(١) .
- (ج) ويقال^(٢) : إن أول من صنف في الحديث هو « خالد بن معدان الحنصي » المتوفى سنة ١٠٣ هـ أو ١٠٤ هـ .
- (ح) وقيل : إن أول من جمع الحديث هو « عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج » المتوفى سنة ١٥٠ هـ .
- فاظظر إلى هذا الذي كتبه المحدثون في كتبهم عن أول المدونين للحديث من هو ؟ وأين هي الأحاديث التي سمعها من أفواه أبناء أبناء أبناء صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد طال بالناس الزمان ؟
- (خ) أما موطأ مالك بن أنس الذي صنفه في أيام أمير المؤمنين أبو جعفر المنصور – رضي الله عنه – فقد كان بعد عمر بن عبد العزيز بستين فقد ذكر الإمام السيوطي أن المشهور عن الرواة : أن الموطأ له أربع عشرة نسخة .^(٣)

(١) ص ٢٧ الحديث النبوى – للدكتور بدران أبو العينين .

(٢) مجلة المبارى – الجزء العاشر من المجد العاشر .

(٣) إضاءة الحالك – ص ٤٠ .

وقال صاحب كشف الظنون^(١): «الموطأ المعروف عن مالك: أحد عشر. معناها متقارب. والمستعمل منها أربعة: موطأ يحيى بن يحيى، وموطاً ابن بكير، وأبي مصعب الزهرى، وابن وهب. ثم ضعف الاستعمال إلا في موطأ يحيى، ثم موطأ ابن بكير».

وكله روايات آحاد. وملك نفسه وإن كان إماماً هو فرد واحد. لا تقبل شهادته أمام أي قاضٍ إلا إذا كان معه شاهد آخر. لقوله تعالى: «وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنَ مِنْ رِجَالِكُمْ»^(٢).

(د) قال أبو داود السجستاني في رسالة إلى أهل ملة: «كان سفيان ووكيع وأمثالهما يجتهدون غاية الاجتهاد، فلا يمكنون من الحديث المرفوع المتصل إلا من دون ألف حديث»^(٣).

(ذ) كل أحاديث البخاري بغير المكرر من المتون الموصولة: ألفان وستمائة واثنان فقط. وقد انتقده الحفاظ في مائة وعشرة أحاديث. واتفق مسلم والبخاري على ثمانية وسبعين من الأحاديث المنتقدة في صحيح البخاري، وانفرد البخاري باثنين وثلاثين حديثاً من الأحاديث المنتقدة. وقد ضعف الحفاظ من رجال صحيح البخاري ثمانين رجلاً. وأكثرهم من شيوخ البخاري الذين لقيتهم وجالسهم وعرف أحواهم واطلع على أحاديثهم.

(ر) الأحاديث الضعيفة عند مسلم مائة وثلاثون حديثاً.

* * *

ويقول الأستاذ الشيخ محمد الغزالى - الداعية الإسلامى الكبير، والحاائز على جائزة الملك فيصل في المملكة العربية السعودية لعام ١٤٠٩ هـ في كتاب «الطريق من هنا». ما نصه: «والذى نلحظه آسفين: أن كثيراً من جامعي السنن قد

(١) كشف الظنون ج ٢ ص ٣٧٠.

(٢) سورة البقرة، الآية ٢٨٢.

(٣) ص ٣١ الحديث النبوى للدكتور بدران.

تساهلوا في قبول أسانيد ضعيفة، وأن هذا التساهل زحم ميدان السنة بآثار ما كان ينبغي أن تذكر. وإذا كان من شرط الحديث الصحيح أن يخلو من الشذوذ والعلة القادحة، فإن رواة كثريين نقلوا ما خالفوا به الثقات، ونقلوا ما به علل ترده. ومع ذلك سطروا وحبروا وتركوا للأخلاف ما عكر المجرى، وبليل الفكر.

إن رجلاً جليلاً كالبخاري ترك أحاديث كثيرة، مرت به، فلم يرها أهلاً للتدوين. ومن هنا لم يجمع في صحيحه إلا ألفين وبضع مئات من السنن. على حين جمع غيره آلهاً وألهاً من الآثار. تحتاج في غربتها — حسب مقاييس علمائنا — إلى جهد جهيد»^(١).

* * *

وفي أيام «المأمون» أمير المؤمنين — رضي الله عنه وأرضاه — كان من أهل الحديث مهتمون بالرواية بغير تدبير للمعنى^(٢). وكان فيهم من أهل الكتاب جماعات أظهروا الإسلام وأبطأوا الكفر، ورووا عن الرسول صلى الله عليه وسلم ما لا تصح روایته، كالقول بأن النبي قد سحره يهودي من يهود «المدينة» وبأن في القرآن آيات منسوبة، وبأن الشيطان كان يظهر للمحدثين في صورة رجل ويحدثهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم لا يرونوه فيما بعد — وهذا مذكور في صحيح مسلم بن الحجاج — وبأن الشيطان أنطق النبي قرآناً هو تلك الغرائب العلى وإن شفاعةهن لترنجي أي عبارات كانت في سورة النجم لدح الأصنام^(٣). ولهذا رأى أمير المؤمنين «المأمون» — نضر الله وجهه — المتوفى في سنة ٢١٨هـ أن لا يستغل المحدثون بالحديث، وأن لا يستدلوا به في أصول الدين.

(١) ص ٦٠ - ٦١ الطريق من هنا — طبعة دار الشروق بمصر ١٩٨٧ م.

(٢) تأويل مختلف الحديث — لابن قتيبة.

(٣) انظر نقد الأستاذ الشيخ محمد الغزالى لقصة الغرائب في كتاب الطريق من هنا.

وكانوا قد اشتغلوا به من زمان «عمر بن عبد العزيز» — رضي الله عنه — فهو أول أمير للمؤمنين سمع بجمع الحديث وتدوينه . وكان ذلك في بدء القرن الثاني للهجرة . وكانوا في زمان «المؤمنون» قد استدلوا به في العقائد . وقالوا: إن القرآن قديم لأن النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «من قال إن القرآن مخلوق فقد كفر» .

وأمير المؤمنين «المؤمنون» — رضي الله عنه — يعرف أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يقل هذا القول ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم لا يقول قولاً يخالف به كلام الله تعالى . والله يقول: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾^(١) — ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قرآنًا عَرَبِيًّا﴾^(٢) ولغة العرب تدل على أن «أنزل» تستعمل بمعنى الخلق والإيجاد . والقرآن نفسه قد استعملها بمعنى الخلق والإيجاد . في قوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ﴾^(٣) وال الحديد يخرج من الأرض ، وليس قد يعا قدم الله . وفي قوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَّةً أَزْوَاج﴾^(٤) والأنعام تتوالد في الأرض .

ولما نهى المؤمنون نصر الله وجهه المحدثين عن التحديث ، ومنعهم من الاستدلال بالأحاديث في أصول الدين ؛ رفض بعضهم نهيه ومنعه ؛ مع علمهم بأنه ولي أمرهم . ولي أمرهم الواجب عليهم طاعته بنص القرآن وهو: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَئِكُمْ أَنْهَاكُمْ﴾^(٥) وهو «ولي الأمر» وهو عربي أصيل يفهم لغة قومه التي بها نزل القرآن الكريم ، وهو لم يأمر بعصية حتى

(١) سورة القدر ، الآية الأولى .

(٢) سورة يوسف ، الآية ٢ .

(٣) سورة الحديد ، الآية ٢٥ .

(٤) سورة الزمر ، الآية ٦ .

(٥) سورة النساء ، الآية ٥٩ .

تكون لهم شبهة في مخالفته . ولذلك قتل بعضهم وضرب بعضهم وسجن بعضهم . كما هو مدون في كتب التوارييخ .

وفي زمان «المتوكل على الله» قام المحدثون بالتحديث على قدم وساق ، وتتكلموا في الصفات وفي الرؤية . ثم ظهر «الأشعري» وكان هو من علماء المعتزلة الذين تلذموا على «الجُبَائِي» رضي الله عنه ، ووضع مذهبه في أصول الدين على القرآن والأحاديث ، بروايات الآحاد .

وقد ذكر «السيوطى» في تاريخ الخلفاء مشكلة المحدثين هذه وذكرها «الطبرى» في تاريخه . وليس هنا مجال ذكرها بالتفصيل . وإنما ينبغي هنا التنبيه على السبب المباشر لظهور القول بخلق القرآن . وهو :

أن النصارى يقولون فريق منهم : إن الله ظهر في الجسد ، وهم الأرثوذكس . ويقول فريق منهم : إن الله غير المسيح . وما غير الروح القدس . وهم الكاثوليك والبروتستانت . ويلقون المسيح بلقب «كلمة الله» القديمة أو صفة علم الله القديم ثم إنهم لما سمعوا أن القرآن يكفرهم جميعا ، وسمعوا أيضا : «إما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه»^(١) قالوا للمسلمين إن لم تسلّموا بتفسيرنا للكلمة ، يلزمكم التناقض في القرآن ، فإنه عبر بالكلمة كما نعتقد . فـ «كلمته ألقاها إلى مريم وروح منه» هي السبب لظهور مشكلة خلق القرآن . أما المعتزلة ، فقالوا : إن كلمته الملقاة هي قوله «كن» و «كن» هي قدرته ، و «كن» تدل على الخلق .

واحتاجوا على النصارى بأن «كلمته» في القرآن ، مثل «كلمته» في التوراة ، كلها يدلان على قدرة الله . ففي أول الزبور الخمسين : «إله الآلة» الرب تكلم ، ودعا الأرض من شرق الشمس إلى مغربها » وفي الثامن والستين : «الرب يعطي كلمة . المبشرات بها جند كثير» .

(١) سورة النساء ، الآية ١٧١ .

و «روح منه» أي سبب حياة من الله . وأصل الروح على الحقيقة : هو الهواء مثل : «وريح الله يرف» [تكوين ٢: ١] وعلى المجاز تأتي بمعنى الغرض والإرادة . مثل : «الجاهل هل يفشي كل ما في صدره» [أم ١١: ٢٩] أي غرضه وإرادته ... إلخ .

وأما الأشاعرة ، فقالوا : الكلمة قديمة ، والقرآن قديم ، وجميع الصفات قديمة . ولا يدل قدم الكلام على مذهبنا : أن «المسيح» قديم ، فيكون إلها مع الله . فإننا لا نقول : بأن صفات الله أجسام وقديمة قدم ذاته ، فيلزمنا التعدد كما لزم النصارى ، ولا نقول بأن الله جسم . وإنما نقول : هو واحد و ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾ (١) .

وفي كتب أهل الحديث كلام كثير يدل على أن «المؤمن» رضي الله عنه كان على حق في منع المحدثين من التحديث . نذكر منه هذه الأمثلة :

المثال الأول

«إنما جعل الإمام ليؤتم به . فإذا صلى قائما ، فصلوا قياما» : حديث أخرجه الأئمة . وهو بيان لقوله تعالى : ﴿وَقُومُوا لِلله قَانِتِين﴾ (٢) .

وجمهور الفقهاء أجازوا أن يأتى المؤمن الصحيح وهو قاعد بالإمام المريض . وهو يصلي قاعدا . لقوله صلى الله عليه وسلم في الإمام : «إذا صلى جالسا ، فصلوا جلوساً أجمعون» .

(١) وقد أجاز طائفة من العلماء صلاة القائم خلف الإمام المريض . لأن كلام يؤدي فرضه على قدر طاقته ، تأسيساً برسول الله صلى الله عليه وسلم إذ صل في مرضه الذي توفي فيه قاعداً ، وأبو بكر إلى جانبه قائماً يصلّي بصلاته ،

(١) سورة الشورى ، الآية ١١ .

(٢) سورة البقرة ، الآية ٢٣٨ .

والناس خلفه ، ولم يشر إلى أبي بكر ولا إليهم بالجلوس ، وأكمل صلاته بهم جالساً وهم قيام . وعلم أن ذلك كان من بعد سقوطه عن فرسه .
(ب) والمشهور عن مالك أنه لا يؤمُّ الْقِيَامُ أحدٌ جالساً ، فإنْ أَمَّهُمْ قاعداً بطلت صلاته وصلاتهم ، لأنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « لَا يُؤْمِنُ أَحَدٌ بَعْدِي قَاعِدًا » .

المثال الثاني

روى ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم نكح ميمونة وهو مُحرِّم .
وروى أبو رافع أن النبي صلى الله عليه وسلم نكحها وهما حلالان . وترك جماعة من أصحاب الحديث رواية ابن العباس ، وأخذوا برواية أبي رافع . إذ روى عثمان بن عفان عن النبي صلى الله عليه وسلم : « لَا ينكح المُحرِّمُ وَلَا ينكح » .

المثال الثالث

روى ابن العباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لَا رضاع إِلَّا مَا كَانَ فِي الْحَوْلَيْنِ » ويفيد ما رواه ابن ماجة عنه عليه السلام : « لَا رضاع إِلَّا مَا فَتَقَ الْأَمْعَاءِ » .. وهذا الخبر مع الآية ينفي رضاعة الكبير وأنه لا حرمة له .

وانفرد الليث بن سعد من بين العلماء إلى أن رضاع الكبير يوجب التحرير .
وهو قول عائشة رضي الله عنها . وروي عن أبي موسى الأشعري ، وروي عنه ما يدل على رجوعه عن ذلك . وهو ما رواه أبو حفص عن أبي عطية ، قال : قدم رجل بأمراته إلى المدينة ، فوضعت وتورم ثديها ، فجعل يقصه ويجهه ، فدخل في بطنه جرعة منه ، فسأل أبا موسى الأشعري . فقال : بانت منك ، وائتِ ابن مسعود فأخبره .

ففعل . فأقبل بالأعرابي إلى أبي موسى الأشعري . وقال : أرضيعاً ترى هذا الأشmet ؟ إنما يحرم من الرضاع ما ينبع اللحم والعظم . فقال الأشعري : لا تسألوني عن شيء ، وهذا الخبر بين أظهركم . قوله : « لا تسألوني » يدل على أنه رجع عن ذلك .

واحتجت عائشة بقصة سالم مولى أبي حذيفة ، وأنه كان رجلا . فقال النبي صلى الله عليه وسلم لسهمة بنت سهيل : « أرضعيه » ^(١) .

المثال الرابع :

قوله تعالى : ﴿ وَمِهَا تُكْمِلُ الْلَّاتِي أَرْضَعْنَاهُمْ ﴾ ^(٢) لا يدل على عدد الرضعات المحرمة . وقال داود : لا يحرم إلا بثلاث رضعات . واحتج بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تحرم الإملأحة والإملاجتان » . أخرجه مسلم . وذهب غيره إلى أن الرضعة الواحدة تحرم إذا تحققت . وذهب البعض إلى أن المحرم ثلاث رضعات فأكثر ، قوله : « لا تحرم الإملأحة والإملاجتان » وروي عن عائشة أنه لا يحرم إلا سبع رضعات . وروي عنها أنها أمرت أختها أم كلثوم أن ترضع سالم بن عبد الله عشر رضعات ، وروي عن حفصة مثله ، وروي عنها ثلاثة ، وروي عنها خمس . وذكر الطحاوي أن حديث الإملأحة والإملاجتين لا يثبت ، لأنها مرة يرويه ابن الزبير عن النبي صلى الله عليه وسلم ، ومرة يرويه عن عائشة ، ومرة يرويه عن أبيه . ومثل هذا الاضطراب يسقطه .

(١) رواه مالك .

(٢) سورة النساء ، الآية ٢٣ .

المثال الخامس :

قوله تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطُعُوا أَيْدِيهِمَا﴾^(١) قوله صلى الله عليه وسلم «لعن الله السارق . يسرق البيضة فقطع يده ، ويسرق الحبل فقطع يده» متوافقان في المعنى ، وهو أن اليد تقطع في كل ما لها قيمة .

وحيث : «لا تقطع يد السارق إلا في ربع دينار ، فصاعدا» يبين أنه إنما أراد بقوله «والسارق والسارقة» بعض السراغ دون بعض ، فلا تقطع يد السارق إلا في ربع دينار ، أو في ما قيمته ربع دينار وهذا قول عمر بن الخطاب وغيره وقال مالك تقطع اليد في ربع دينار أو في ثلاثة دراهم . فإن سرق درهرين وهو ربع دينار ، لاتحطاط الصرف لم تقطع يده فيما . والمحجة للثلاثة دراهم : حديث ابن عمر أن رجلا سرق حبطة ، فأتى به النبي صلى الله عليه وسلم فأمر بها فقومت بثلاثة دراهم . وجعل الشافعي حديث عائشة رضي الله عنها في الربع دينار أصلا ، رد إليه تقويم العروض ، لا بالثلاثة دراهم على غلاء الذهب ورخصه ، وترك حديث ابن عمر ، لما رأه من اختلاف الصحابة في المحجة الذي قطع فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم . فابن عمر يقول ثلاثة دراهم ، وابن عباس يقول عشرة دراهم ، وأنس يقول خمسة دراهم ، وحديث عائشة في الربع دينار حديث صحيح ثابت لم يختلف فيه عن عائشة ، إلا أن بعضهم وقفه . وروى الدارقطني عن عمر ، قال : «لا تقطع الخمس إلا في خمس» .

وقال أبو حنيفة وصحاباه والثوري : لا تقطع يد السارق إلا في عشرة دراهم كيلًا ، أو دينار ذهباً عيناً أو وزناً ولا يقطع حتى يخرج بالمتاع من ملك الرجل . وروي أن اليد تقطع في أربعة دراهم فصاعدا . وروي أن اليد تقطع في درهم فما فوقه . وروي أن اليد تقطع في كل ما لها قيمة — على ظاهر الآية — وهو قول الخوارج .

(١) سورة المائدة ، الآية ٣٨ .

المثال السادس :

روى الحكم بسنده إلى أبي عمار المروزي . أنه قيل لابي عصمة نوح بن مريم : من أين لك عن عكرمة عن ابن عباس . في فضائل القرآن ، سورة ، وليس عند أصحاب عكرمة هذا ؟ فقال : إني رأيت الناس قد أعرضوا عن القرآن ، واستغثوا بفقة أبي حنيفة ومجازي ابن إسحق . فوضعت هذا الحديث جنبة . وكان يقال لابي عصمة هذا : نوح الجامع . قال ابن حيان : جمع كل شيء إلا الصدق . وروى ابن حبان في «الضعفاء» عن ابن المهدى . قال : قلت لميسرة ابن عبد ربه : من أين جئت بهذه الأحاديث ؟ من قرأ كذا ، فله كذا ؟ قال : وضعتها أرغم الناس فيها . وكان ميسرة هذا غلاماً جليلًا ، يتزهد وينحر شهوات الدنيا ، وغلقت أسواق بغداد لموته . ومع ذلك كان يضع الحديث . وقيل له عند موته : حسن ظنك ؟ قال : كيف لا ، وقد وضعت في فضل «علي» سبعين حديثاً . وقال ابن حبان : كان أبو البشر أحد بن محمد الفقيه المروزي من أصلب أهل زمانه في السئة ، وأذتهم عنها ، وأقمعهم من خالفها . وكان مع هذا يضع الحديث .

المثال السابع :

«لا عدو ولا طيرة» في صحيح مسلم هو متعارض مع ما أخرجه البخاري من حديث : «فَرَّ مِنَ الْمَجْدُومِ فَرَارَكَ مِنَ الْأَسْدِ» .

المثال الثامن :

رواية البخاري في التاريخ الأوسط ، نقلًا عن ابن صبيح بن عمران التميمي .

المثال التاسع :

أسندا الحاكم عن سيف بن عمر التميمي ، قال : كنت عند سعد بن ظريف ، فجاء ابنه من الكتاب يبكي . فقال : ما لك ؟ قال : ضربني المعلم . قال : لا أخزينهم اليوم . ثم ألق في خزفهم هذا الحديث وهو عن ابن عباس مرفوعاً : « معلمو صبيانكم شاركم ؛ أقلهم رحمة لليتيم ، وأغلظهم على المسكين ». .

وسعد بن ظريف هذا . قال فيه ابن معين : « لا يحل أن يروى عنه » وقال ابن حبان : « كان يضع الحديث » وراوي القصة هو سيف بن عمر . وقال فيه الحاكم : « اتهم بالزندة وهو في الرواية ساقط ». .

المثال العاشر :

قيل لأحد بن مأمون المروي : ألا ترى الشافعي ومن تبعه بـ « خراسان » ؟ فقال : حدثنا أحد بن عبد الله ، حدثنا عبد الله بن معدان الأزدي ، عن أنس مرفوعاً : « يكون في أمتي رجل ، يقال له : محمد بن إدريس ، أضر على أمتي من إبليس ، ويكون في أمتي رجل يقال له أبو حنيفة ، هو سراج أمتي ». .

المثال الحادي عشر :

روى ابن الجوزي من طريق عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن جده ، مرفوعاً : « إن سفينة نوح طافت بالبيت سبعاً ، وصلت عند القام ركعتين » وقال ابن الجوزي : « هذه من سخافات عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ». .

المثال الثاني عشر:

عبد الكريم بن أبي العوجاء . قتله محمد بن سليمان العباسى ، الأمير بـ «البصرة» على الزندقة في خلافة «المهدي» ولما أخذه لضرب عنقه ، قال : «لقد وضعتم فيكم أربعة آلاف حديث ، أحرم فيها الحلال ، وأحلل الحرام » .

المثال الثالث عشر:

محمد بن سعيد بن حسان الأسدى الشامى . قتله أبو جعفر المنصور — رضي الله عنه — في الزندقة . وحديثه حديث موضوع . قال فيه أحد بن صالح المصرى : هو زنديق قد قُتل . وقد وضع أربعة آلاف حديث .

المثال الرابع عشر:

قال صلى الله عليه وسلم : «من كذب على معمدا ، فليتبوأ مقعده من النار» وقد علق عليه الوضاعون للأحاديث ، الذين كذبوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بقولهم : «نحن ما كذبنا عليه ، إنما كذبنا له» .

المثال الخامس عشر:

روى ابن حبان في «الضعفاء» بسنده إلى عبد الله بن زيد المقرئ : أن رجلاً من أهل البدع رجع عن بدعته . وجعل يقول : «انظروا هذا الحديث عن من تأخذونه . فإننا كنا إذا رأينا رأياً ، جعلناه حديثاً» .

المثال السادس عشر:

قال الحكم : كان محمد بن القاسم الكايكاني من رعوس المرجئة . وكان يضع الحديث على مذهبهم . ثم روى بسنده عن المحاملي ، قال : سمعت أبا

العيناء يقول : «أنا والحافظ وضعنا حديث فدك ، وأدخلناه على الشيوخ ببغداد ، قبلوه . إلا ابن أبي شيبة الحلوي ، فإنه قال : لا يشبه آخر هذا الحديث أوله . وأبى أن يقبله » .

المثال السابع عشر :

روى النسائي وابن ماجة من رواية أبي زكير ، يحيى بن محمد بن قيس عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة ، مرفوعا : « كلوا البلح بالتمر . فإن ابن آدم إذا أكله غضب الشيطان » وقال النسائي : هذا حديث منكر ، تفرد به أبو زكير ، وهو شيخ صالح . أخرج له مسلم في المتابعات ، غير أنه لم يبلغ مبلغ من يحتمل تفرد .

المثال الثامن عشر :

روى أحد وابن خزيمة وابن حبان من حديث أئنسة مرفوعا : « إذا أذن ابن أم مكتوم فكلوا واشربوا . وإذا أذن بلال ، فلا تأكلوا ولا تشربوا » والمشهور من حديث ابن عمر وعائشة : « إن بلا بلا يؤذن بليل . فكلوا واشربوا ، حتى يؤذن ابن أم مكتوم » .

المثال التاسع عشر :

حديث أبي بكر أنه قال يا رسول الله . أراك شبّت ؟ قال : « شيبتني هود وأنواعها » قال الدارقطني : هو مضطرب .

المثال العشرون :

أورد العراقي من حديث فاطمة بنت قيس قالت : سهل النبي صلى الله عليه وسلم عن الزكاة . فقال : « إن في المال لحقا سوى الزكوة » رواه الترمذى من رواية

شريك عن أبي حزنة الشعبي عن فاطمة. ورواه ابن ماجة من هذا الوجه بلفظ : «ليس في المال حق سوى الزكوة» قال الدارقطني : فهذا اضطراب لا يحتمل التأويل .

المثال الحادي والعشرون :

قال ابن عبد البر عن قراءة بسم الله الرحمن الرحيم في الصلاة : «اختلف في ألفاظ هذا الحديث اختلافاً كثيراً متدافعاً مضطرباً . منهم من يقول : «صليت خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبى بكر وعمر» ومنهم من يذكر عثمان ، ومنهم من يقتصر على أبي بكر وعثمان ، ومنهم من لا يذكر . فكانوا لا يقرءون «بسم الله الرحمن الرحيم» ومنهم من قال : «فكانوا لا يجهرون ببسم الله الرحمن الرحيم» ومنهم من قال : «فكانوا يجهرون ببسم الله الرحمن الرحيم» ومنهم من قال : «فكانوا يفتحون القراءة بالحمد لله رب العالمين» ومنهم من قال : «فكانوا يقرءون ببسم الله الرحمن الرحيم» .

قال ابن عبد البر : «وهذا اضطراب لا يقوم معه حجة لأحد» .

وقال الإمام النووي : والاضطراب يوجب ضعف الحديث ، لإشعاره بعدم الضبط — أي من رواهه — والضبط شرط في صحة الحديث وحسنه » .

المثال الثاني والعشرون :

في صحيح مسلم عن عبد الله بن مسعود ، قال : «إن الشيطان ليتمثل في صورة الرجل . فيأتي القوم فيحدثهم بالحديث من الكذب ، فيتفرقون . فيقول الرجل منهم : سمعت رجلاً أعرف وجهه ولا أدرى ما اسمه ، يُحدث» .

وهذه الرواية من مسلم تدل على أن الشياطين كذبت على المحدثين ، لتجير الناس في عبادة الله تعالى .

وهي لم تقدر على الكذب على الله تعالى . وذلك لقوله تعالى : ﴿ وَمَا نَزَّلْتُ
بِهِ الشَّيَاطِينَ * وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِعُونَ . إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ
لَعَزُولُونَ ﴾^(١) وقد بين الله عز وجل أن الشياطين تنزل على ضعفاء الإيمان .
وذلك في قوله تعالى : ﴿ هَلْ أَنْبَثْتُكُمْ عَلَىٰ مَنْ تَنْزَلَ الشَّيَاطِينُ ؟ تَنْزَلُ عَلَىٰ كُلِّ
أَفَّاكَ أَثْيَمُ * يُلْقَوْنَ السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ ﴾^(٢) .

المثال الثالث والعشرون :

حديث «إذا كانت ليلة النصف من شعبان . فقوموا ليلاً وصوموا نهارها ؛ فإن الله ينزل فيها لغروب الشمس إلى سماء الدنيا . فيقول : ألا من مستغفر فأغفر له . ألا من مسترزق فارزقه . ألا من مبتلي فأعانيه . ألا كذا . ألا كذا . حتى يطلع الفجر» هذا الحديث موضوع . وقد رواه ابن ماجة وعبد الرزاق عن أبي بكر بن عبد الله بن أبي بسرة . وقد قال ابن معين والإمام أحمد : إنه يضيع الحديث . ونقل ذلك مخشن سنن ابن ماجة عن الزوائد . ووافقه الذهبي في الميزان في الإمام أحمد . وذكر عن ابن معين أنه قال فيه : ليس حديثه بشيء . وقال النسائي : متروك .

المثال الرابع والعشرون :

عن الأشرم عن أحمد بن حنبل . قال : حدثنا معاذ . قال : كنت عند عمرو ابن عبيد ، فجاءه عثمان بن فلان . فقال : يا أبا عثمان . سمعت — والله — بالكفر . قال : ما هو ؟ لا تعجل بالكفر . قال : هاشم الأوقص . زعم : أن

(١) سورة الشعراء ، الآيات ٢١٠ - ٢١٢ .

(٢) سورة الشعراء ، الآيات ٢٢١ - ٢٢٣ .

﴿ تَبَتْ يَدَا أَبِي هُبَّ ﴾^(١) وقوله تعالى: ﴿ ذُرْنِي وَمَنْ خَلَقْتَ وَحِيداً ﴾^(٢) لم يكن هذا في أم الكتاب . والله تعالى يقول : ﴿ حَمْ * وَالْكِتَابُ الْمَبِينُ * إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعْلَكُمْ تَعْقِلُونَ * وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدِينِنَا لَعْلَى حَكْيَمٍ ﴾^(٣) فما الكفر إلا هذا .

المثال الخامس والعشرون :

قوله صلى الله عليه وسلم : « لا تفضلوني على يونس بن متى ، ولا تخيروا بين الأنبياء وبيني » وقوله صلى الله عليه وسلم : « أنا سيد ولد آدم ولا فخر » .

المثال السادس والعشرون :

قوله صلى الله عليه وسلم : « إذا استيقظ أحدكم من نومه ، فلا يغمض يده في الإناء ، حتى يغسلها ثلاثة . فإن أحدكم لا يدرى أين باتت يده » وإن هذا الحديث يفسد آخره أوله . فإن أوله صحيح . لولا قوله : « فإن أحدكم لا يدرى أين باتت يده » مما من أحد إلا ويدري أين باتت يده . وأشد الأمور : أن يكون قد مس بها فرجه . ولو أن رجلا فعل ذلك في اليقظة لما طلب بغسل يده . فكيف يطلب بالغسل ، ولا يدرى هل مس فرجه أم لا .

المثال السابع والعشرون :

روي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « قد تركت فيكم ما لن تصلوا بعدي ، إذا اعتصتم به : كتاب الله وعتري . ولن يتفرقوا حتى يريا على الحوض » رواه الترمذى والنسائي .

(١) سورة المس ، الآية الاولى .

(٢) سورة المدثر ، الآية ١١ .

(٣) سورة الزخرف ، الآيات ١ - ٤ .

وروى الحديث عن أبي هريرة بلفظ «السنة» بدل «العترة» وروى الحديث نفسه بالكتاب وحده.

المثال الثامن والعشرون :

روى ابن ماجة عن النبي صلى الله عليه وسلم : «سيأتي على الناس سنوات خداعات ، يُصدق فيها الكاذب ، ويُكذب الصادق ، ويؤتمن فيها الخائن ويختون الأمين . وينطق فيها الرويبة» وقيل : وما الرويبة؟ قال : الرجل التافه [يتكلم] في أمور العامة وفي سنته ابن ماجة : أسحق بن بكر بن أبي الفرات . قال الذهبي : مجھول . وقيل : منكر . وذكره ابن حبان في الثقات .

المثال التاسع والعشرون :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «إن الله لما خلق آدم مسح ظهره بيديه ، فأخرج منه ذريته إلى يوم القيمة» وهذا القول يبين أن الله أخذهم من ظهر آدم نفسه .

وهو مخالف للقرآن في قوله تعالى : ﴿وَإِذْ أَخْذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ، مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾^(١) فالقرآن يخبر أنه أخذهم من ظهور «بني آدم» .

المثال الثلاثون :

قال رجل يا رسول الله نشدتك الله . إلا ما قضيت بيننا بكتاب الله . فقال خصمه وكان أفقه منه — : صدق . اقض بيننا بكتاب الله ، وائذن لي في أن أتكلم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «والذي نفسي بيده لأقضين بينكمَا

(١) سورة الأعراف ، الآية ١٧٢ .

بكتاب الله . أما الوليدة والغنم ، فردة عليك ، وعلى ابنك هذا جلد مائة وتغريب عام ، وعلى امرأة هذا الرجم » .

وهذا الحديث مخالف لكتاب الله . لأنه قد قال : «لأقضين بينكم بكتاب الله » حسبما سأله السائل . ثم قضى بالرجم والتغريب ، وليس لهما ذكر في كتاب الله .

المثال الحادي والثلاثون :

قوله تعالى في حق الإماماء : «فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةً # فَعَلَيْهِنَ نَصْفُ مَا عَلَى
الْمُحْسِنَاتِ مِنِ الْعَذَابِ»^(١) لا يعقل مع ما جاء في الحديث وهو أن النبي
صلى الله عليه وسلم رجم ، ورجحت الأئمة من بعده . لأنه يقتضي أن الرجم
يتناصف . وهذا غير معقول . فكيف يكون نصفه على الإماماء ؟ والذي يقبل
التنصيف هو الجلد من مائة إلى خمسين . فيكون هو الحد ، لا الرجم .

المثال الثاني والثلاثون :

حديث : «لا تُنْكحِ المرأة على عمتها ولا خالتها» وحديث : «يَخْرُمُ مِنِ
الرَّضَاعِ مَا يَحْرُمُ مِنِ النَّسْبِ» الحديثان يعارضان قول الله تعالى في المحرمات من
النساء . فإنه لم يحرم من الرضاع إلا الأم والأخت . وقول الله تعالى في الجمع بين
النساء . فإنه لم يحرم إلا الجمع بين الأختين .

المثال الثالث والثلاثون :

قوله عليه الصلاة والسلام : «غسل الجمعة واجب على كل محمل» مخالف
قوله : «من توضأ يوم الجمعة فبها ونعمت ، ومن اغتسل فالغسل أفضل» .

(١) سورة النساء ، الآية ٢٥ .

المثال الرابع والثلاثون :

جاء في الحديث : «صلة الرحم تزيد في العمر» والله تعالى يقول : ﴿إِذَا جاء أجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون﴾^(١) فكيف تزيد صلة الرحم في أجل لا يؤخر ولا يقدم البة ؟.

المثال الخامس والثلاثون :

جاء في الحديث : إنه عليه الصلاة والسلام كان إذا أراد أن ينام — وهو جنب — توضأً وضوءه للصلاه . ثم في الحديث : كان عليه الصلاة والسلام ينام وهو جنب من غير أن يمس ماء . وهذا تداعي . والحديثان معًا لعائشة رضي الله عنها .

المثال السادس والثلاثون :

(أ) قوله تعالى : ﴿لَكُنَ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْمُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتَوْنَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَئِكَ سَتُثْوِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا﴾^(٢) .

(ب) قوله تعالى : ﴿إِنَّ هَذَانِ لِسَاحِرَانِ﴾^(٣) .

(ت) قوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِرُونَ وَالنَّصَارَى مِنْ أَمْنٍ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾^(٤) .

(١) سورة يونس ، الآية ٤٩ .

(٢) سورة النساء ، الآية ١٦٢ .

(٣) سورة طه ، الآية ٦٣ .

(٤) سورة المائدة ، الآية ٦٩ .

في هذه الأقوال الثلاثة، لفظ «المقيمين» وهو ليس على قواعد النحو. إذ هو على قواعد النحو يكون والمقيمون لفظ «لساحران» وصحته على قواعد النحو لساحرين. وللفظ «والصابئون» وصحته على قواعد النحو والصابئين.

والراسخون في العلم أزالوا مُهم الإشكالات بكلام حسن جليل. وقال القرطبي في تفسيره عن ما دسه المحدثون في الكتب ما نصه: «روي أن عائشة رضي الله عنها — سئلت عن هذه الآية — «المقيمين الصلاة» — وعن قوله: «إن هذان لساحران» وقوله: «والصابئون» في المائدة. فقالت للسائل: يا ابن أخي^(١). الكتاب أخطئوا. وقال أبوان بن عثمان: كمن الكاتب يُملي عليه، فيكتب. فكتب «لكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون» ثم قال: ما أكتب؟ فقيل له: اكتب «المقيمين الصلاة» فمن ثمّ وقع هذا. قال القشيري: وهذا المسلك باطل؛ لأن الذين جعوا الكتاب، كانوا قدوة في اللغة فلا يُظن بهم أنهم يدرجون في القرآن ما لم ينزل». أ. هـ.

* * *

وهذه الأمثلة التي ذكرناها من كتب أهل الحديث، تدل على أن «المؤمن» رضي الله عنه كان على حق في منع المحدثين من التحديث. لأن تعارض الروايات يحير الناس في عبادة الله تعالى ويعين من يسر الشريعة الذي أراده الله للناس. ويفرق المسلمين إلى طوائف.

* * *

لكن هل كانت مشكلة المؤمن — نضر الله وجهه — مع المحدثين، من أجل أنه كان يريد رفض الأحاديث كلها من الدين، كما أراد عمر بن الخطاب رضي الله عنه من قبل. فإنه منع المحدثين من كتابة الأحاديث في زمانه. وضرب

(١) في تفسير الطبرى: يا بن أخي.

بعضهم باللَّهِرَةِ؟ أم أن المشكّلة كانت من أجل أنه هو والمُعْتَزِّلة يقولون بخلق القرآن والمحدثون يقولون إنه قديم قدم الله عز وجل؟.

أما أنا فأعتقد — والعلم لله وحده — أن المؤمن — يرحمه الله كأن يريد رفض الأحاديث كلها من الدين. ولم تكن مشكلة مع المحدثين من أجل خلق القرآن أو قدمه^(١).

ولأفترض الآن أن رجلا ينزع رجلا في خلق القرآن أو قدمه. وذهبا معا إلى قاض ليحكم بينهما. فإن القاضي سوف يحكم بينهما بالنص القرآني نفسه. ولن يجتهد في الحكم إذا وجد النص. ولسوف يجد القاضي إذا حكم كما وجد المؤمن نفسه.

قال المؤمن رضي الله عنه عن المحدثين : «إنهم ساواوا بين الله وبين خلقه وبين ما أنزل من القرآن. فأطبقوا على أنه قديم ، لم يخلقه الله ويختبره . وقد قال الله تعالى : ﴿إِنَا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾^(٢) وكل ما جعله الله ، فقد خلقه . كما

(١) حكى الفزالي المتفق عليه عن بعض الأئمة : أنه أفتى بوجوب قتل رجل يقول بخلق القرآن . فروجع فيه . فاستدل : بأن رجلا رأى في منامه إبليس ، قد اجتاز بباب المدينة ، ولم يدخلها . فقيل له : هل دخلتها و فقال : أغناي عن دخوها رجل يقول بخلق القرآن . فقام ذلك الرجل . فقال : لو أفتى إبليس بوجوب قتلي في اليقظة . هل تقلدونه في فتواه ؟ فقالوا : لا . فقال : قوله في المنام ، لا يزيد على قوله في اليقظة . ومثله :

يمكى أن شريك بن عبد الله القاضي دخل على «المهدي» فلما رأه ، قال : على بالسيف والقطع . قال : ولم يا أمير المؤمنين ؟ قال : رأيت في منامي كأنك تطا بيساطي وأنت معرض عني ، فقصصت روياي على من عبرها . فقال لي : يُظهر لك طامة ، ويضمّر مقصية . فقال له شريك : والله ما رؤياك برؤيا إبراهيم الخليل — عليه السلام — ولا أن معبرك بيوسف الصديق عليه السلام — أقبل الأحلام الكاذبة تضرب أعناق المؤمنين ؟ فاستحبوا المهدي . وقال : أخرج عني . ثم صرفه وأبعده [ص ٢٦٢ الاعتصام للشاطبي].

(٢) سورة الزخرف ، الآية ٣.

قال تعالى : ﴿ وَجَعَلَ الظُّلْمَاتِ وَالنُّورَ ﴾^(١) وقال : ﴿ نَقْصٌ عَلَيْكَ مِنْ أَبْنَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ ﴾^(٢) فأخبر أنه قصص لأمور أحدثه بعدها . وقال : ﴿ أَحْكَمْتَ آيَاتِهِ، ثُمَّ فَصَلَتْ ﴾^(٣) والله محكم كتابه ومفصله . فهو خالقه ومبدعه . ثم انتسوا إلى «الستة» وأنهم أهل الحق والجماعة ، وأن من سواهم أهل الباطل والكفر . فاستطاعوا بذلك وغروا به الجهال ، حتى مال قوم من أهل السمت الكاذب في التخشع لغير الله إلى موافقتهم ؛ فنزعوا الحق إلى باطلهم ، واتخذوا دين الله ولبيحة إلى ضلالهم » .

هذا هو كلام المؤمن رضي الله عنه . وهو نفسه سيكون كلام أي قاض يريد أن يفصل في خلق القرآن أو قدمه .

والمحدثون لم يسلمو من حكم غير «المؤمن» عليهم بأنهم شغلوا أنفسهم بجمع أحاديث لن يستدل بها عاقل في أصول الدين . فقد قال الإمام المقدسي المتوفى سنة ٦٢٠ هـ : « وأنكر قوم جواز التعبد بخبر الواحد عقلاً ، لأنَّه يحتمل أن يكون كذباً والعمل به عمل بالشك وقادماً على الجهل ، فتفريح الحالة على الجهل . بل إذا أمرنا الشرع بأمر ، فليعرفناه ، لنكون على بصيرة ، إما ممثلين وإما مخالفين »^(٤) .

بل على ما رواه المحدثون في كتبهم ، يكون الرافض للأحاديث كلها من خيار المسلمين ومن فضلاتهم . فقد رروا أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه منع المحدثين من تبع الأحاديث وضررهم على كتابتها . وهو من هو من المسلمين العظام المشهور لهم بالجندة . ورووا : أن خير القرون هو قرن رسول الله صلى الله

(١) سورة الأنعام ، الآية الأولى .

(٢) سورة طه ، الآية ٩٩ .

(٣) سورة هود ، الآية الأولى .

(٤) ص ٢٦٤ ج ١ روضة الناظر .

عليه وسلم . وررووا أن في هذا القرن إلى سنة المائة من الهجرة لم يأمر أحد من الخلفاء الراشدين أو الخلفاء الأمويين برواية أحاديث أو كتابة أحاديث . فلو أن مسلماً اليوم قال للناس : أنا على دين عمر بن الخطاب — رضي الله عنه — فهل يجرؤ إنسان أن يقول له : لست من خيار المسلمين ؟ لا . لا . لن يجرؤ . لقوله صلى الله عليه وسلم : « أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتدتكم » .

وعلى ما رواه المحدثون في كتبهم . فإن خلق القرآن أو قدمه ، ليس هو الدافع للمأمون على قتل المحدثين وسجنهم وضربهم . بل الدافع هو أنهما كانوا قد رروا أحاديث تبطل أحكام القرآن التشريفية والعقائدية .

ففي كتب المحدثين : واستمرت المحنّة إلى أن مات « المعتصم » سنة ٢٢٧ هـ ولما تولى ابنه « الواشق » الخلافة أحيا الفتنة وأقام سوق المحنّة . وفي سنة ٢٣١ هـ أصدر أمره إلى أمير « البصرة » بامتحان الأئمة والمؤذنين بخلق القرآن . وأظهر الغلظة لمن يقول بخلاف رأيه . بل قتل في ذلك بعض أهل الحديث .

ولما تولى « المتوكّل على الله » ابن « المعتصم » الخلافة بعد أخيه « الواشق » سنة ٢٣٢ هـ أظهر ميلاً عظيمًا إلى السنة ، فرفع المحنّة . وكتب بذلك إلى الآفاق ، واستقدم المحدثين إلى « سامراء » وأجلز عطائهم وأكرّمهم وأمرهم بأن يحدثوا بأحاديث الصفات والرؤيا . وجلس أبو بكر بن شيبة في جامع « الرصافة » فاجتمع إليه نحواً من ثلاثين ألف نفس ، وجلس أخوه عثمان في جامع المنصور ، فاجتمع إليه أيضًا نحواً من ثلاثين ألف نفس ^(١) أ.ه.

هذا نص ذكرته من كتب أهل الحديث . ومنه يتبيّن :

- ١ — أن المأمون ومن بعده لم يعاقبوا أهل الحديث من أجل قدم القرآن أو خلقه .
- قوله : « أظهر ميلاً عظيمًا إلى السنة ». ولقوله : « واستقدم المحدثين »
- ولقوله : « وجلس . وجلس » .

(١) الحديث والمحدثون — محمد محمد أبو زهرة ص ٣٢١ - ٣٢٢

٢ — أن رؤية الله تعالى مسألة عقائدية، وصفات الله تعالى ومنها صفة الكلام وصفة الرؤية. هذه الصفات لا يفصل القول فيها إلا علماء العقائد. وكيف يفصلون القول فيها؟ هذا سؤال من الأهمية بمكان.

أما المعتزلة ففضّلوا على محكم القرآن ومتشابهه ، ورفضوا الأحاديث أن يستدل بها أحدٌ من المسلمين في أصول الدين . وأما المحدثون فإنهم أخذوا بالأحاديث مع القرآن . قوله : « وأمرهم بأن يحدثوا بأحاديث الصفات والرؤى » هو دليل على أن أحاديث الآحاد لم يُسمح بها في العقائد إلا في ذاك الزمان .

وكيف يُسمح بها في العقائد وهي مروية بعد طول زمان؟ وكيف يُسمح بها في العقائد وقد اندس بين المحدثين زنادقة لم يفطن المحدثون لما أقوه في الكتب؟ وكيف يُسمح بها في العقائد وهي مختلفة؟ والاختلاف في الكتاب الواحد يمنع من العمل بما فيه ، وذلك من قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوْجِدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ (١) .

(١) ها هم يقولون: إن في القرآن آيات منسوخة . فقوله تعالى: ﴿ وَيَطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبْهِ مَسْكِينًا وَتَبِيمًا وَاسِيرًا ﴾ (٢) يقولون: نسخ إطعام المسكين آية الصدقات ، وإطعام الأسير آية السيف . ويقولون في هذا القول: إنه نزل في « علي وفاطمة رضي الله عنهمَا وجارية لهمَا فضة » والصحيح: أنها نزلت في جميع الأبرار ، ومن فعل فعلًا حسنًا . وقال القرطبي في تفسيره: (٣) « وقد ذكر النقاش والشلبي والقشيري وغير واحد من المفسرين في قصة علي وفاطمة وجاريتهما حديثًا لا يصح ولا يثبت . رواه ليث عن مجاهد عن ابن عباس .. الخ ». .

(١) سورة النساء ، الآية ٨٢ .

(٢) سورة الإنسان ، الآية ٨ .

(٣) تفسير القرطبي ص ١٣٠ ج ١٩ .

(ب) وها هم يذكرون الاحاديث التي تجسم الله عز وجل وتحدد له مكانا وجهة . ثم يقولون: نحن لا نُؤوْلُ ولا نجسّم ، بل نُسْلِم بظواهر النصوص . ونقول : ﴿كُلُّ مَنْ عِنْدَ رِبِّنَا﴾^(١) لقد روا : «أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ» ولم يُؤَوِّلُوا مَا رَوَوْا . على عكس علماء بني إسرائيل ، فإن في التوراة : «فَخَلَقَ اللَّهُ الْإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِهِ . عَلَى صُورَةِ اللَّهِ خَلْقِهِ» [تكوين ١: ٢٧] . ومع ذلك أَوْلَوا . فرارا من التجسيم الذي نفته التوراة عن الله قوله : «لِيْسَ مُثْلِهِ اللَّهُ» [ثنية ٣٣: ٢٦] كما نفاه القرآن عن الله في قوله : ﴿لِيْسَ كَمُثْلِهِ شَيْءٌ﴾^(٢) .

يقول صاحب دلالة الخاترين : في الفصل الخامس والثلاثين من الجزء الأول ، فصل [له] ما نصه : «يُنْبَغِي أَنْ يُرَبِّي الصَّغَارَ وَيُعْلَنَ في الجَمْهُورِ: عَلَى أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَاحِدًا . وَلَا يُنْبَغِي أَنْ يُعْبَدَ سَوَاهُ . وَكَذَلِكَ يُنْبَغِي أَنْ يَقْلِدُوا بَأْنَ اللَّهِ لِيْسَ بِجَسْمٍ ، وَلَا شَبَهٌ بَيْنِهِ وَبَيْنِ مَخْلوقَتِهِ أَصْلًا فِي شَيْءٍ مِّنَ الْأَشْيَاءِ وَلَا وَجُودَهُ شَبَهٌ وَجُودَهَا ، وَلَا حَيَاةٌ شَبَهٌ حَيَاةَ الْحَيِّ مِنْهَا ، وَلَا عِلْمٌ شَبَهٌ عِلْمٌ مِّنْ لِهِ عِلْمٌ مِّنْهَا . وَأَنْ لِيْسَ الْخِتَالُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا بِالْأَكْثَرِ وَالْأَقْلَ فَقْطًا ، بل بِنَوْعِ الْوِجُودِ . أَعْنِي : أَنْ يُقْرِرَ عِنْدَ الْكُلِّ : أَنْ لِيْسَ عَلَمَنَا وَعِلْمَهُ ، أَوْ قَدْرَتَنَا وَقَدْرَتَهُ ، تَخْتَلِفُ بِالْأَكْثَرِ وَالْأَقْلِ وَالْأَشَدِ وَالْأَضْعَفِ ، وَمَا أَشْبَهُ . إِذَا الْقَوِيُّ وَالْمُضَعِيفُ مُتَشَابِهُانَ بِالنَّوْعِ ضَرُورةً ، وَيُجْمِعُهُمَا حَدَّ مَا وَاحِدٌ . وَكَذَلِكَ كُلُّ نَسْبَةٍ إِنَّمَا تَكُونُ بَيْنِ شَيْئَيْنِ تَحْتَ نَوْعٍ وَاحِدٍ — وَقَدْ تَبَيَّنَ ذَلِكَ أَيْضًا فِي الْعِلُومِ الْطَّبِيعِيَّةِ — بل كُلُّ مَا يُنْسَبُ إِلَيْهِ تَعَالَى مَبَيِّنٌ لِصَفَاتِنَا مِنْ كُلِّ جَهَةٍ ، حَتَّى لَا يُجْمِعُهَا حَدَّ أَصْلًا» .

وكذلك وجوده ووجود ما سواه . إنما يقال عليهما وجود باشتراك الاسم — كما سأبین — وهذا يكفي الصغار والجمهور في إقرار أذهانهم على أنَّهُم

(١) سورة آل عمران ، الآية ٧.

(٢) سورة الشورى ، الآية ١١ .

موجوداً كاملاً. لا جسم ولا قوة في جسم هو الإله، ولا يلحقه نحو من أنحاء النقص. ولذلك ليس يلحقه انفعال أصلاً.

أما الكلام في الصفات، وكيف تُنفي عنه؟ وما معنى الصفات المنسوبة له تعالى؟ وكذلك الكلام في خلقه ما خلق، وفي صفة تدبيره للعالم، وكيف عناته بما سواه؟ ومعنى مشيئته وإدراكه وعلمه بكل ما يعلمه. وكذلك معنى النبوة، وكيف مراتبها؟ وما معنى أسمائه المدلول بها على واحد، وإن كانت أسماء كثيرة؟ فإن هذه كلها أمور غامضة. وهي «غواصون التوراة» بالحقيقة. وهي «الأسرار» التي تذكر دائمًا في كتب الأنبياء، وفي كلام الحكماء — عليهم السلام —.

وهذه هي الأشياء التي لا ينبغي الكلام فيها إلا «برءوس الفوائل» — كما ذكرنا — ومع الشخص الموصوف أيضاً. أما نفي التجسيم ورفع الشبه والانفعالات عنه، فأمر ينبغي التصریح به وتبیینه لكل أحد بحسبه وتقلیده للأصغر والنسوان والبله، والناقص الفطرة.

كما يقولون: إنه واحد وإنه قديم، وأن لا يعبد سواه. لأنه لا توحيد إلا برفع الجسمانية. إذا الجسم ليس بوحدة، بل مركب من مادة وصورة. اثنين بالحدّ. وهو أيضًا منقسم، قابل للتجزئة.

فإذا قبلوا ذلك وألغوه وربوا عليه وكبروا وتحيروا في نصوص الكتب النبوية، يُبنّ بهم معناها وأنهضوا لتأويتها، ونبهوا على اشتراك الأسماء واستعارتها التي ضمنتها هذه المقالة حتى يسلم لهم صحة الاعتقاد في وحدانية الله وفي تصديق الكتب النبوية. ومن نجا ذهنه عن فهم تأويل النصوص وفهم الاتفاق في الاسم، مع الاختلاف في المعنى. قيل له: هذا النص يفهم تأويلاً أهل العلم، لكنك أنت تعلم: أن الله عز وجل ليس بجسم ولا ينفعل، لأن الانفعال تغير. وهو تعالى لا يلحقه تغير، ولا يشبه شيئاً من كل ما سواه، ولا يجمعه منه شيء منها

حدّ من الحدود أصلًا . وإن هذا الكلام النبوي حق . وله تأويل ويوقف معه عند هذا القدر .

ولا ينبغي أن يقر أحد على اعتقاد تجسيم أو على اعتقاد لاحق من لواحق الأجسام ، إلّا ما يقر على اعتقاد عدم الإله ، أو الشرك به ، أو عبادة من دونه » أ. هـ .

أما المحدثون فقد روا عن الترمذى أنه قال : جاء يهودي إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا محمد ، إن الله يمسك السموات على إصبع ، والخلائق على إصبع . ثم يقول : أنا الملك . فضحك النبي صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه .

هذا مما رواه وأخذوه على ظاهره ولم يؤولوه . وأكثروا من ترديد أمثاله في الاعتقاد للبيهقي والتوجيد لابن خزيمة وغيرهما من الكتب التي تردد أقوال ابن حنبل وابن تيمية وابن قيم الجوزية وغيرهم من لا يؤولون ولا يردون المتشابه إلى المحكم .

مع أن قوله تعالى : ﴿وَالْأَرْضَ جَيْعَاً قَبْضَتِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَالسَّمَوَاتِ مَطْوِيَاتٍ بِيَمِينِهِ﴾^(١) لا يدل ظاهره على قبضة ومين . لأن الله تعالى نزع نفسه عن الجسمية في نفس الآية بقوله : ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَشْرَكُونَ﴾^(٢) ولأن الله نزع نفسه عن الجسمية ، يكون معنى « والأرض جيعاً قبضته » .

(أ) عبارة عن قدرته وإحاطته بجميع خلوقاته . يقال : ما فلان إلّا في قبضتي . بمعنى ما فلان إلّا في قدرتي . والناس يقولون : الأشياء في قبضته . يريدون في ملكه وقدرته .

(ب) وقد يكون معنى القبض والطي : إففاء الشيء وإذهابه . فقوله عز وجل :

(١) سورة الزمر ، الآية ٦٧ .

(٢) سورة العنكبوت ، الآية ٤٠ .

«والأرض جيعا قبضته» يحتمل أن يكون المراد به : والأرض جيعا ذاهبة فانية يوم القيمة . قوله : «والسموات مطويات بيمينه» ليس يريد به طيا بعلاج وانتصاب . وإنما المراد بذلك : الفناء والذهاب . يقال : قد انطوى عنا ما كنا فيه ، وجاءنا غيره ، وانطوى عنا دهر . يعني المضي والذهاب . واليمين في كلام العرب : قد تكون بمعنى القدرة والملك . ومنه قوله تعالى : ﴿أَوْ مَا ملَكْتُ أَيْمَانَكُم﴾^(١) يريد به : الملك . وقال : ﴿لَاخْدَنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ﴾^(٢) أي بالقوة والقدرة . أي لأخذنا قوته وقدرته . قال الفراء والمبرد : اليمين : القوة والقدرة . وأنشدا :

إذا ما راية رفعت لمجد تلقاها غرابة باليمين

وقال آخر :

ولما رأيت الشمس أشرق نورها
تناولت منها حاجبي بيمين
قتلت «شنيفا» ثم «قارن» بعده
وكان على الآيات غير أمين

ولما خص يوم القيمة بالذكر ، وإن كانت قدرته شاملة لكل شيء أيضاً ، لأن الدعاوى تنقطع في ذلك اليوم . كما قال : ﴿وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلّهِ﴾^(٣) .

(ت) وهذا هم يوقعون التفرقة بين المسلمين ؛ يوقعون التفرقة بين المسلم العربي والمسلم العربي . مع أن الله تعالى يقول : ﴿وَاعتصموا بِحَبْلِ اللّهِ جيعاً وَلَا تَفْرَقُوا﴾^(٤) فالآحاديث التي عند المسلمين الشيعة تختلف عن الأحاديث التي هي عند المسلمين السنّيين . وكل فريق يقول : ما عندي هو الحق ؛ وهم يعلمون جيعاً أنهم ما كان عندهم من شيء يعتد به ، من قبل عصر

(١) سورة النساء ، الآية ٣ .

(٢) سورة الحاقة ، الآية ٤٥ .

(٣) سورة الانفطار ، الآية ١٩ . تفسير القرطبي ج ١٥ ص ٢٧٨ - ٢٧٩ آ .

(٤) سورة آل عمران ، الآية ١٠٣ .

أمير المؤمنين المتوكل على الله . فإن البخاري قد توفي في سنة ٢٥٥ هـ
والكليني قد توفي سنة ٣٢٨ هـ .

وال المسلمين تجاه الأحاديث على طائفتين :

طائفة تردها كلها وترفضها كلها في أصول الدين وفي الفقه . لقوله تعالى :
﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبَيَّنَ لِكُلِّ شَيْءٍ ﴾^(١) ولقوله تعالى : ﴿ مَا فَرَطْنَا فِي
الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ﴾^(٢) ولقول النبي صلى الله عليه وسلم : « ما أنا كم عنني
فأعرضوه على كتاب الله . فإن وافق كتاب الله فأنا قلته ، وإن خالف كتاب
الله ، فلم أقله أنا . وكيف أخالف كتاب الله . وبه هداني الله ؟ » .

وطائفة ردوا أخبار الآحاد فقط . وحجتهم : أن الراوي ليس معصوما من
الكذب ، وأنه يجوز عليه الخطأ والنسيان^(٣) .

والطائفة التي ترد أخبار الآحاد ، هي تظاهرة بأنها ترد أخبار الآحاد فقط .
وهي في الحقيقة ترد الأحاديث كلها . إذا لا حديث فيها مروي بالتواتر لا في
العوائد ولا في الفقه . وقد كتب الفقهاء بذلك تحت عنوان « ندرة المتواتر^(٤) » .

والصحيح في شأن الأحاديث وهو الذي أعتقده وأدين به :

(أ) أن الأحاديث لا يصح لأحد أن يستدل بها في أصول الدين .
(ب) وما عدا أحاديث أصول الدين ، فإنها تنقسم إلى قسمين : قسم منها يفسر
آيات في القرآن الكريم . وهذا القسم يجب أن يقبل ولا يرد ولا يرفض .

(١) سورة التحل ، الآية ٨٩ .

(٢) سورة الأنعام ، الآية ٣٨ .

(٣) الحديث والمحدثون — محمد محمد أبو زهرة .

(٤) الإسلام عقيدة وشريعة — الشيخ محمود شلتوت .

وَقُسْمٌ مِّنْهَا يَنْشئُ أَحْكَامًا تَشْرِيعِيَّةً فِي دِينِ الْإِسْلَامِ لَيْسَ بِهَا ذَكْرٌ فِي الْقُرْآنِ . وَهَذَا الْقُسْمُ يُجَبُ أَنْ لَا يُقْبَلُ ، وَيُرِدُ وَيُرَفَّضُ .

أَمَا الْمُفْسِرُ وَهُوَ مِثْلُ الْأَحَادِيثِ الَّتِي تَفَسِّرُ كَيْفِيَّةَ إِقَامَةِ الصَّلَوةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ ؟ فَإِنَّهُ يُقْبَلُ وَلَا يُرِدُ . لِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْذِكْرَ، لِتَبَيَّنَ لِلنَّاسِ مَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمْ ﴾^(١) وَقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ ﴾^(٢) هُوَ عَامٌ يَشْمَلُ الْقُرْآنَ وَالسَّنَةَ كُلَّهَا . وَلَكِنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَصَّصَهُ بِقَوْلِهِ : ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِكْرَ، لِتَبَيَّنَ لِلنَّاسِ مَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمْ ﴾ وَالْخَاصُّ مُقْدَمٌ عَلَى الْعَامِ . فَصَارَ الْمَرَادُ بِإِتَّيَانِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : هُوَ مَا فَسَرَهُ وَبَيْنَهُ مِنْ آيٍ الْكَتَابِ الْعَزِيزِ .

يَقُولُ الْإِمَامُ الشَّاطِئِيُّ . إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُوسَى . الْمُتَوَفِّىُ فِي سَنَةِ ٧٩٠ هـ فِي كِتَابِهِ الْاعْتِصَامِ :

«إِنَّ الْأَمْرَ إِنَّمَا يَرِدُ عَلَى الْمَكْلُفِ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ ، أَوْ مِنْ سَنَةِ رَسُولِهِ . وَمَا يَتَفَرَّعُ مِنْهُمَا ، رَاجِعٌ إِلَيْهِمَا . إِنَّ كَانَ وَارِداً مِنَ السَّنَةِ ، فَمُعَظَّمُ نَقْلِ السَّنَةِ بِالْأَحَادِيدِ . بَلْ قَدْ أَغْوَزْتُ أَنْ يَوْجِدَ حَدِيثاً عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُتَوَاتِراً . إِنَّ كَانَ وَارِداً مِنَ الْكِتَابِ ، فَإِنَّمَا تَبَيَّنَهُ السَّنَةُ^(٣) » أ.هـ.

وَيَقُولُ الشَّاطِئِيُّ فِي الْاعْتِصَامِ :

«مِنْ اتَّبَاعِ الْمُشَبَّهَاتِ : الْأَنْذَدُ بِالْمُطَلَّقَاتِ قَبْلَ النَّظَرِ فِي مَقِيدَاتِهَا ، وَبِالْعُومَاتِ مِنْ غَيْرِ تَأْمُلِ . هَلْ هُنَّ مُخَصَّصَاتٌ أَمْ لَا ؟ وَكَذَلِكَ الْعَكْسُ . بَأْنَ يَكُونُ النَّصْ مَقِيداً ، فَيَطْلُقُ ، أَوْ خَاصاً فَيَعِمُ بِالرَّأْيِ مِنْ غَيْرِ دَلِيلٍ سَوَاءً . إِنَّ هَذَا الْمَسْلِكُ : رَقْبَةٌ فِي عَمَانِيَّةِ ، وَاتَّبَاعٌ لِلْهُوَيِّ فِي الدَّلِيلِ . وَذَلِكَ أَنَّ الْمُطَلَّقَ النَّصْوصَ عَلَى تَقْيِيدِهِ : مُشَبَّهٌ إِذَا لَمْ يَقِيدْ . فَإِذَا قَيَدَ صَارَ وَاضْحَى . كَمَا أَنَّ إِطْلَاقَ المَقِيدِ : رَأْيٌ

(١) سورة التحليل ، الآية ٤٤ .

(٢) سورة الحشر ، الآية ٧ .

(٣) الاعتصام ص ١٠٩ ج ١ .

في ذلك المقيد، معارض للنص من غير دليل^(١) أ. هـ.

وأنا أعتقد – بفضل الله ورحمته – أنه بعد بياني هذا، لن يكون للمسلمين من حجة في انتسامهم إلى طوائف وفرق.

والله يقول الحق. وهو يهدي السبيل.

والسبب في تباني هذا: هو أن المسلمين في «مصر» قد فرض عليهم من أسرة محمد علي باشا سنة ١٨٠٥ م هجران الأحكام التشريعية الإسلامية من حاكم القضاء ودور الحكم. وتذرع فارضوا المحرمان بأن الشريعة الإسلامية ليست متوافقة في نصوص المواد التشريعية. فالقرآن يخالف السنة، والسنة ينقض بعضها بعضاً. وفي بعض النفوس ميل إلى ما تهوى الأنفس؛ فلذلك رضي البعض بالقوانين الوضعية التي حلّت محل شريعة الله إلى يومنا هذا. وبسبب رضاهن عم الظلم وضع الأمان. ولما رحلت هذه الأسرة من «مصر» حل عملها في الحكم رجال من عامة المصريين المدنيين هم ليسوا من رجال الدين. وقد امتنعوا من وضع الشريعة في دور القضاء. لأسباب منها: أن وضع الشريعة، يستلزمهم تنحية هؤلاء المصريين المدنيين عن الحكم. وتنصيب رجال الدين في وظائفهم الرئيسية بدلاً عنهم. لأن رجال الدين إذا طبقت الشريعة يكونون هم الراعين لها بحكم فقههم لها أكثر من غيرهم. ولو تقلد رجال الدين الحكم ووضع الأحاديث كما وصفت، فإنهم سيختلفون كما اختلف من قبلهم. وسيعود حال المسلمين من بعد الاختلاف إلى حالمم اليوم في العمل بالقوانين الوضعية، ريشما يتلقون. ولو أنهم رضوا بالقرآن وبالمفسر من الأحاديث، لانعدمت الفوارق بين الشيعة وأهل السنة، وأصبحوا بنعمة الله إخواناً.

والله ولي التوفيق. وهو حسبي ونعم الوكيل.

د / أحمد حجازي السقا

(١) الاعتصام ص ٢٤٦

مؤلف الكتاب

شيخ الإسلام
الإمام فخر الدين الرازي

محمد بن عمر، المتوفى سنة ٦٠٦ هـ

هو الشيخ الجليل محمد بن عمر بن الحسين . المولود في «الري» من بلاد إيران سنة ٥٤٣ هـ والمتوفى في «هرة» سنة ٦٠٦ هـ .

ومن كتبه .

- ١ — التفسير الكبير ، المسماى مفاتيح الغيب .
 - ٢ — المطالب العالية من العلم الإلهي .
 - ٣ — شرح عيون الحكمة .
 - ٤ — محصل أفكار المتقدمين .
 - ٥ — المحصول في أصول الفقه .
 - ٦ — نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز .
 - ٧ — نهاية العقول في دراية الأصول .
 - ٨ — الأربعين في أصول الدين — وهذا الكتاب منه ، وقد عملنا له مقدمة —
 - ٩ — المسائل الخمسين في أصول الدين .
 - ١٠ — مناقب الإمام الشافعي .
 - ١١ — لباب الإشارات والتبيهات .
- وكتب أخرى
- رحمه الله تعالى برحمته الواسعة آمين .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، وصلوة وسلاما على نبيه محمد خير المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين .

وبعد

فهذا كتاب في صفة الكلام الله تعالى وفي أن القرآن كلام الله تعالى . على مذهب الكرامية وأئي الحسن الأشعري وعلماء المعتزلة . وقد قسمته إلى فصلين : الأول : في حقيقة الكلام . والثاني : في إثبات كونه تعالى متكلما .

والله من وراء القصد وهو حسبنا ونعم الوكيل .

* * *

الفصل الأول في حقيقة الكلام

اعلم : أن الإنسان إذا أراد أن يقول : اسقني الماء . فإنه قبل أن يتلفظ بهذا اللفظ ، يجد في نفسه طلبا واقتضاء لذلك الفعل . وماهية ذلك الطلب مغايرة لذلك اللفظ .

والذى يدل عليه وجوه .

الأول : أن ماهية ذلك الطلب لا تتبدل باختلاف الأزمنة والأمكنة .
والألفاظ الدالة على هذا المعنى تختلف باختلاف الأزمنة والأمكنة .

الثاني : أن جميع العقلاة يعلمون بالضرورة أن قول القائل « افعل » : دليل على ذلك الطلب القائم بالقلب . ولا شك أن الدليل مغایر للمدلول .

الثالث : أن جميع العقلاة يعلمون بالضرورة : أن قول القائل « افعل » : لا يكون طلبا وأمرا ، إلا عند اصطلاح الناس على هذا الموضوع . وأما كون ذلك المعنى القائم بالقلب طلبا ، فإنه أمر ذاتي حقيقي لا يحتاج فيه إلى الوضع والاصطلاح .

الرابع : وهو أنهم قالوا : إن قولنا : ضرب يضرب ، إخبار . وقولنا : اضرب لا تضرب ، أمر ونهي . ولو أن الواضعين قلباً الأمر ، وقالوا : إن قولنا ضرب يضرب ، أمر ونهي . وقولنا اضرب لا تضرب ، إخبار . لكان ذلك مكناً جائزًا . أما لو قالوا : حقيقة الطلب يمكن أن تقلب خبراً ، وحقيقة الخبر يمكن أن تقلب طلبًا ، لكان ذلك محلاً .

فهذه الوجوه الظاهرة دالة على أن حقيقة الطلب وحقيقة الخبر ، أمر مغاير لهذه الألفاظ وهذه العبارات ، بل هذه الألفاظ وهذه العبارات ، دالة عليها معرفة لها .

إذا عرفت هذا ، فلنبحث عن ماهية هذا الطلب ، وماهية الحكم الذهني الذي يسمى بالخبر فنقول^(١) : هذا الطلب إما أن يكون هو الإرادة وإما أن يكون معنى مغايراً للإرادة . والأول باطل ، فتعين الثاني . وهو المطلوب .

ولما قلنا : إنه لا يجوز أن يكون عبارة عن الإرادة لوجوده :

الحججة الأولى : أنه لا نزاع في أنه تعالى أمر بإيمان من يعلم أنه لا يؤمن ، ويمتنع أن يقال : إنه يريد الإيمان منه ، لأنه تعالى عالم الغيب ؛ فإن^(٢) خلاف العلوم ممتنع الواقع وكل ما كان ممتنع الواقع لا يكون مراد الواقع . فلما تحقق الأمر والطلب ، مع عدم الإرادة ؛ علمنا : أن ماهية هذا الطلب مغایرة ل Maher الإرادة . وهذه النكتة هي النكتة القوية في إثبات هذا المطلوب .

الحججة الثانية : أنه قد يوجد الأمر بدون الإرادة ، وقد توجد الإرادة بدون الأمر . أما أنه قد يوجد الأمر بدون الإرادة ، ففي صور :

(١) فيكون : أ .

(٢) علم بـ : أ .

إحداها : أن السلطان إذا أمر «زيدا» أن يأمر عمرا بشيء ، فقد يكون زيد كارها لصدور ذلك الفعل من «عمرا» وإلا إنه يأمره لأجل أن السلطان أمره بذلك . فههنا الأمر حاصل ، والإرادة غير حاصلة .

ثانيها : ما ذكره أصحابنا — رحهم الله — من أن الرجل إذا ضرب عبده ، فشكى العبد ذلك إلى السلطان ، فقال السلطان : لم ضربت عبده ؟ فقال : إنه لا يطعني ، ثم لأجل هذا العذر قال للعبد : افعل كما وکذا . فالامر قد حصل ههنا ، مع أنه لا يريد إقدامه على ذلك الفعل ، لأنه لو أقدم عليه لما تمهد عذرها عند السلطان .

وثالثها : أنه تعالى لما أخبر عن أبي جهل وأبي طه أنهما يموتان على الكفر . فالتبني — عليه السلام — ما كان يريد الإيمان منها لأن من لوازم صدور الإيمان منها ، دخول الكذب في كلام الله تعالى . ومريد الشيء مرید لما هو من لوازمه ومن ضروراته . فثبتت : أنه عليه السلام ما كان يريد الإيمان منها ، وكان صلى الله عليه وسلم يأمرها بالإيمان ، فعلمـنا : أن الأمر قد يحصل بدون الإرادة . وأما أن الإرادة قد تحصل بدون الأمر ظاهر فإن الإنسان قد يصرح بذلك . ويقول : أريد منك أن تفعل هذا ، إلا أني لا آمرك به .

فثبت بهذه الوجوه : أن هذا الطلب القائم بالنفس والاقضاء الموجـد في القلب : أمر مغایر للإرادة .

وأما الخبر الذهني : فنقول : لا شك أن قولنا باللسان «قام زيد» و «ضرب عمرو» ويدل على حكم ذهني ، وإسناد عقلي وهذا الحكم الذهني والإسناد العقلي : ظاهر أنه ليس من جنس القدرة والإرادة ، إنما الذي يقع فيه الاشتباه أن يقال : إن هذا الحكم الذهني هو الاعتقاد أو العلم . فإذا بينما بالبرهان أنه ليس الأمر كذلك ، ظهر أن الخبر القائم بالنفس ؛ معنى مغاير للعلوم والاعتقادات ، ومغاير للقدر والإرادات . وذلك هو المراد من الخبر القائم بالنفس .

ولما قلنا: إن هذا الحكم الذهني ليس من جنس العلوم والاعتقادات . وذلك لأنني حال ما أكون عالماً بأن العالم ليس بقديم ، يمكنني أن أقول في الذهن: العالم قديم . وذلك لأن الذهن كما يمكنه تركيب القضايا الصادقة ، فكذلك يمكنه تركيب القضايا الكاذبة . والقضايا الكاذبة الذهنية يكون ذلك الحكم الكاذب فيها حاصلاً في الذهن ، والعلم بها والاعتقاد فيها غير حاصل . فهو هنا الكلام في القضايا الكاذبة التي يكون كذبها معلوماً ، حصل الحكم الذهني ، ولم يحصل العلم والاعتقاد . وهذا يدل قطعاً على أن الحكم الذهني ، مغایر للعلم والاعتقاد .

فإن قيل: هذا الحكم الذهني عبارة عن فرض يفرضه الذهن، وقد يقدره.

قلنا: هب أن الأمر على ما قلتم ، إلا أن هذا الفرض وهذا التقدير ، ليس من باب العلوم والاعتقادات ، ولا من باب القدر والإرادات ؛ فكان معنى مغاييرها . وهو المطلوب . وذلك لا يختلف بأن سميتها فرضاً وتقديراً ، أو لا تسمونه بذلك . فثبت بما ذكرنا: أن الطلب الذهني مغایر للإرادة ، وأن الحكم الذهني مغایر للعلم والاعتقاد .

^(١) ومنْ أَنْصَقَ عِلْمَ أَنْ هَذَا التَّقْرِيرُ وَالتَّلْخِيصُ لَمْ يَتِيْسِرْ لِأَحَدٍ مِنْ تَقْدِيمِهِ .

(١) أعلم : أن علماء بنى إسرائيل يصرحون في كتبهم بأنهم أخذوا علم الكلام عن معتزلة المسلمين ولم يأخذوا عن الأشاعرة شيئاً . وسأبين هنا أنهم أخذوا عن علماء المعتزلة في خلق القرآن ، وفي نفي رؤية الله تعالى .

أولاً: يقول مؤلف دلالة الحائرين ، المتوفى سنة ٦٠٣ هـ: أعلم أن العلوم الكثيرة التي كانت في ملتنا في تحقيق هذه الأمور ، تافت بطول الأزمان ، وباستيلاء الملل الجاهلية علينا ، وبكون تلك الأمور لم تكن مباحة للناس كلهم . فما كان الشيء المباح للناس كلهم إلا نصوص الكتب فقط . والفقه المروي ما كان مدونا في القديم ، للأمر المستفاض في الله . وهو: «الامر التي أخبرتك بها شفاهها؛ لا يجوز لك أن تكتبه» وذلك كان في غاية الحكمة من الشريعة؛ لأنه هرب مما وقع فيه الناس أخيرا . وهو كثرة الآراء وتشعب المذاهب ، بسبب إشكالات تقع في عبارة المدون للسهو الذي يصحبه . ويحدث بسببه الانقسام بين الناس ويصيرون فرقا ، وينحدرون في الأعمال الشرعية....

وتفق في ابتداء الإسلام أن أصحابنا أخذوا عن المعتزلة ما أخذوا . ولم يأخذوا عن الأشعرية شيئا . لأنهم ظنوا أن آراء المعتزلة مقبولة للبرهنة عليها... الخ [ج ١ ص ١٧٩ فصل: عا].

ثانياً: يقول مؤلف دلالة الحائرين : إن رؤية الله تعالى ممتنعة ، كما يقول المعتزلة . ويدرك الحقيقة والمجاز في الألفاظ الدالة على الرؤية هكذا:

«أعلم: أن «رأى» و «نظر» و «حزى» ثلاثة هذه الألفاظ تقع على رؤية العين ، واستعيرت ثلاثتها لإدراك العقل . أما ذلك في «رأى» فمشهور عند الجمهور . قال: «ونظر فإذا بشر في الصحراء» [نك ٢٩ : ٢] وهذه رؤية عين على الحقيقة لا على المجاز وجاءت «رأى» على المجاز . في: «وقلبي رأى كثيرا من الحكم والعلم» [جا ١ : ١٦] وهذا إدراك عقلي ، لا رؤية عين . وبحسب هذه الاستعارة ، تكون كل لفظة جاءت عن الرؤية في الله تعالى . مثل قوله: «رأيت الرب» [مل ٢٢ : ١٩] «يرى له الرب» [نك ١ : ١٨] «ورأى الله ذلك أنه حسن» [نك ١ : ١٠] «أرني مجده» [خر ٣٣ : ١٨] «فرأوا إله إسرائيل» [خر ٢٤ : ١٠] كل ذلك إدراك عقلي ، لا رؤية عين بوجهه . إذ لا تدرك الأعين إلا جسما ، وفي جهة . وبعض أغراضه أيضا . أعني ألوان الجسم وشكله ونحوها . وكذلك هو تعالى لا يدرك بالآلة . وكذلك «نظر» يقعحقيقة على الالتفات بالعين للشيء . مثل: «لا تلتفت إلى ورائك» [نك ٩١ : ١٧] «فاللتفت امرأته إلى ورائها» [نك ١٩ : ٢٦] «وينظار إلى الأرض» [أش ٥ : ٣٠] واستعير مجازا إلى التفات الذهن وإقباله على تأمل الشيء حتى يدركه . مثل قوله: «لم ير إثما في يعقوب» [عد ٢٣ : ٢١] لأن «الإثم» لا يرى بالعين . وكذلك قوله «وينظرون إلى موسى» [خر ٣٣ : ٨] قال الحكماء - عليهم السلام -: إن فيه أيضا هذا المعنى ، وإن إخبار عن كونهم يتبعون أفعاله وأقواله وتأملونها . ومن هذا المعنى قوله: «انظر إلى السماء» [نك ١٥ : ٥] لأن ذلك كان رؤيا النبوة .

وعلى هذه الاستعارة ، تكون كل لفظة «النظر» التي جاءت في الله تعالى . مثل: «أن ينظر إلى الله» [خر ٢ : ٦] «وصورة الرب يعain» [عد ١٢ : ٨] و «وليس تطبيق النظر إلى الإصر» [حب ١ : ١٣] .

وكذلك «جزى» يقع على رؤية العين حقيقة . مثل : «ولتتظر عيوننا إلى صهيون» [ميخا ٤ : ١١] واستعير مجازا لإدراك القلب : مثل : «التي رأها على يهودا وأورشليم» [أش ١ : ١] «كان كلام الرب إلى إبراهيم في الرؤيا» [تك ١٥ : ١] وعلى هذه الاستعارة قيل «فرأوا الله» [خر ٢٤ : ١١] فاعلم ذلك أ. هـ [ج ١ ص ٢٩ فصل د].

ثالثا : أما كلام الله تعالى ، فقد فصل فيه صاحب «دلالة الحاثرين» القول في فصل ٤٦ و ٦٥ أعني فصل «مو» وفصل «سه» وقال : إن الله تعالى موجود واحد . ومتكلما . ثم حكى إجماع علماءبني إسرائيل على أن التوراة مخلوقة . قال : «ولا سيما بإجماع أمتنا : أن التوراة مخلوقة والقصد بذلك أن كلامه المنسوب إليه مخلوق» والألفاظ المنسوبة إليه التي سمعها موسى ، فإن الله خلقها وباتبعها ، كما نسب إليه كل ما خلق وباتبع . ووصف الله بالكلام مثل وصفه بالأفعال كلها ، الشبيهة بأفعالنا . وكلام الله إلى أنبيائه معناه : أن هناك علما إلهيا ، يدركه النبيون بأن الله كلهم وقال لهم . حتى نعلم أن هذه المعاني التي أوصلوها إلينا ، هي من قبل الله ، لا من مجرد فكرهم وذرتهم .

ولفظ «الكلام» ولفظ «القول» على الحقيقة يأتي ، وأيضا على المجاز يأتي .

ولفظ الكلام والقول على الحقيقة وقعا على النطق باللسان . مثل قوله : «موسى يتكلم» و «قال فرعون» وقعا على المجاز ، على المعنى المتصور في العقل من غير أن ينطق به . مثل : «قتلت في قلبي» — «فتكلمت في قلبي» — «وبينطق قلبك» . — «لک نطق قلبي» — «وقال عيسو في قلبه» وهذا كثير . وقعا أيضا مجازا على الإرادة . مثل : «وهم أن يقتل داود» فكانه قال : وأراد قتلته . أي هم به ومثل : «أتريد أن تقتلني» ؟ أي تهم به وتريهده .

وقال المؤلف ما نصه : «فكل قوله وكلام ، جاءت منسوبة لله ، فهي من المعينين الآخرين . أعني : أنها إما كنایة عن الشیة والإرادة ، وإما كنایة عن المعنى المفهم من قبل الله ، سواء على بصوت مخلوق ، أو علم بطريق من طرق النبوة ، لا أنه تعالى تكلم بحرف وصوت . ولا أنه تعالى ذكر نفس . فترتسم المعانی في نفسه ، وتكون في ذاته معنی زائدا على ذاته . بل تعلق تلك المعنی به وتبسيتها إليه ، كنسبة الأفعال كلها» أ. هـ . هذا ما أرادت بيانه هنا . لاين أن للمعتزلة تأثیراً في علماءبني إسرائيل . لأن علماءبني إسرائيل قد تأثروا بالمعزلة . ذلك لأن ابن ميمون توفي في سنة ستمائة وثلاث من المجرة . و «واصل بن عطاء الغزال» رئيس المعزلة ، توفي في سنة مائة واحد وثلاثين من المجرة . ولأن موسى بن ميمون قد صرخ بأن كتب علماءبني إسرائيل الأوائل قد تلقت بطول الأزمان وباستيلاء الملل الجاهلة ، عليهم كما يزعمون — وبكون تلك الأمور لم تكن مباحة للناس كلهم .

الفصل الثاني في إثبات كونه تعالى متكلما

اعلم : أن الأمة متفقة على إطلاق لفظ المتكلم على الله تعالى ، إلا أن هذا الاتفاق ليس إلا في اللفظ . وأما المعنى فغير متفق عليه .

أما المعتزلة فقالوا : إن الإنسان لا يمكنه أن يعيش وحده ، بل ما لم يستغل كل واحد بإعانته الآخر ، لم يحصل لكل واحد منهم مقصوده بالتمام ، وما لم يعرف كل أحد ما في قلب الآخر من جهات الحاجات ، لا يمكنه الاشتغال بإعانته . فاحتاج الإنسان إلى وضع طريق يعرف به غيره ما في قلبه ، من فنون الحاجات . فاصطلحوا على جعل هذه الأصوات المقطعة بهذه التقطيعات المخصوصة ، معرفة لما في قلوبهم من الأحوال . وقد كان يمكنهم وضع طريق آخر سوى هذا الطريق من الإشارة والإيماء وتصنيف اليد والكتابة . إلا أن هذا الطريق كان أسهل وأيسر .

إذا عرفت هذا فنقول : إنه تعالى إذا أراد شيئاً أو كره شيئاً ، خلق هذه الأصوات المخصوصة في جسم من الأجسام ، لتدل هذه الأصوات على كونه تعالى مریداً لذلك الشيء المعين ، أو كارها له ، حاكماً به بالنفي أو بالإثبات . وهذا هو المراد من كونه تعالى متكلماً .

وقد نازعهم أصحابنا فيه : وقالوا : إنه يمتنع أن يكون متكلما بكلام قائم بالغير ، كما أنه يمتنع أن يكون متحركا بحركة قائمة بالغير وساكنا بسكن قائم بالغير .

وعندي : أن هذه المنازعة ضعيفة . لأن هذه المنازعة ، إما أن تكون في المعنى ، أو في اللفظ . أما المعنى :

فهنا شيئاً :

أحد هما : أنه تعالى قادر على خلق هذه الأصوات المقطعة بالتقاطعات المخصوصة في جسم جمادي أو حيواني^(١) ، وهذا أمر لا يمكن النزاع فيه . لأن خلق هذه الأصوات والحرروف في الجسم الجمادي أو الحيواني ممكن ، والله تعالى قادر على كل الممكنات .

والثاني : إن الله تعالى جعل تلك الأصوات المخصوصة معرفة لكونه تعالى مریداً لبعض الأشياء وكارها لبعضها . وهذا أيضاً غير ممتنع . وإذا سلم هذان المقامان عن الطعن ، فقد سلمنا لهم صحة كونه تعالى متكلماً بالمعنى الذي أرادوه .

وأما المنازعة في اللفظ :

فهو أن من فعل هذه الأصوات المخصوصة — وهي الحروف المركبة في جسم — لغرض أن يعرف غيره ما يريده أو يكرهه ، فهل يسمى متكلماً في اللغة أم لا ؟ ومعلوم : أن هذا البحث بحث لغوی عرض ، وليس للمعنى به تعلق البتة .

فثبت بما ذكرنا : أن كونه تعالى متكلماً بالمعنى الذي يقوله «المعتزلة» مما نقول به ونعرف به ولا ننكره بوجه من الوجوه . إنما الخلاف بيننا وبينهم في أن ثبتت أمراً آخر وراء ذلك ، وهم ينكرونـه . وسنذكر ، أن ذلك الشيء ما هو ؟

(١) نباتي : ب .

وأما «الكرامية» فهم يقولون: إنه تعالى يخلق الأصوات والحرف في ذاته. وهذا يرجع إلى أنه تعالى هل يجوز أن يكون مخلاً للحوادث أم لا؟. وأما أصحابنا. فقد قالوا: ثبت أن الكلام القائم بالنفس معنى مغایر للقدر والإرادات والعلوم والاعتقادات. وندعى أن الباري تعالى موصوف بهذا المعنى وندعى أن هذا المني قدّيم، وندعى أنه معنى واحد، وهو مع كونه واحداً، أمر ونهي وخبر واستخبار ونداء.

والمعزلة والكرامية ينazuون أصحابنا في كل واحد من هذه الموضع الأربعة. فأولاً ينكرون إثبات معنى مغایر للاعتقادات والإرادات. وبتقدير تسلیمه، ينكرون كونه موصوفاً به، وبتقدير تسلیمه، ينكرون كونه قدّيماً. وبتقدير تسلیمه، ينكرون كونه واحداً. فهذا تلخيص محل النزاع في هذا الباب.

أما المقام الأول: وهو إثبات أن كلام النفس أمر مغایر للإرادات والاعتقادات. فقد تقدم تقريره على أحسن الوجه.

وأما المقام الثاني: وهو أن الباري تعالى موصوف بكلام النفس. فالذى يدل عليه: ما ثبت عندنا بالتواتر والظواهر^(١)، من جميع الأنبياء والرسل عليهم السلام، أنه تعالى أمر عباده بكلذا ونهاهم عن كلذا وأخبرهم بكلذا. ولما ثبت بالعجزات صدق الأنبياء والرسل عليهم السلام، وجوب القطع بكونه تعالى آمراً وناهياً ومخبراً.

وإذا ثبت هذا فنقول: هذا الأمر والنهي والخبر، إما أن يكون من باب الألفاظ والعبارات، وإما أن يكون من باب المعاني والحقائق. فإن كان الأول، فتلك العبارات والألفاظ لا بد وأن تكون دالة على المعاني والمدلولات. ومدلول هذه العبارات في حق الله تعالى إما أن يكون هو الإرادات والاعتقادات، وإما أن يكون معنى مغایراً لها. لا جائز أن تكون تلك المعاني هي الإرادات

(١) بالتواتر الظاهر: ب.

والاعتقادات . لأننا بينما أن الأمر قد يوجد بدون الارادة والخبر قد يوجد بدون الاعتقادات فثبتت : أن مدلول هذه العبارات في حق الله تعالى معنى وراء الاعتقادات والإرادات . فثبتت : أنه تعالى موصوف بمعنى حقيقي ، هو مدلول قوله : « أفعل » وأنه تعالى موصوف بمعنى حقيقي ، هو مدلول قوله « الحمد لله » وهو مغاير لعلمه . ونحن نسمى ذلك المعنى بالأمر الحقيقي والخبر الحقيقي . وهو المطلوب .

فإإن قيل : كيف يمكنكم أن تستدلوا بقول الأنبياء والرسل عليهم السلام على كونه تعالى متكلما ، مع أن نبوة الأنبياء عليهم السلام لا يمكن إثباتها إلا بعد العلم بكونه تعالى متكلما .

قلنا : لا نسلم أن العلم بصحة نبوة الأنبياء موقف على العلم بكونه تعالى متكلما . وذلك لأنه لما ظهرت العجائب على وفق دعاويمهم ، ثبت كونهم صادقين ، سواء علمنا كونه تعالى متكلما أو لم نعلم ذلك .

وأما المقام الثالث — وهو أنا ندعى أن هذه الصفة قديمة — فنقول : لو كانت محدثة ، لكان إما قائمة به أو بغيره ، أو لا في محل . فإن كانت قائمة به كان الله تعالى محل الحوادث ، وهو محال . وإن كانت قائمة بغيره ، فهو أيضاً محال [وإن لم تكن قائمة بشيء] ، أو كانت قائمة بغيره ، أو كانت موجودة لا في محل . فهو محال [^(١) لأننا يبينا أن هذا الكلام صفة الله تعالى ونعته . ومن المحال أن تحصل صفة الشيء ونعته ، لا فيه بل في غيره . والذي يقوله المعتزلة من أنه يجوز أن يكون كلامه قائماً بغيره ، فليس من هذا الباب . وذلك لأنهم فسروا الكلام القائم بغيره بأنه يخلق أصواتاً وحروفاً دالة بالوضع والاصطلاح ، على كونه تعالى مريداً لبعض الأشياء وكارها لبعضها . وهذا غير ممتنع البتة .

(١) ما بين التوسيتين : من ب .

وأما نحن في هذا المقام فقد بينا : أنه لو خلق ألفاظا دالة على الطلب وألفاظا دالة على الحكم والإسناد ، فلا بد من مدلولات لتلك الألفاظ ومفهومات . وبيننا : أن الألفاظ الدالة على الطلب لا يمكن أن يكون مدلولها الإرادة ، والألفاظ الدالة على الخبر لا يمكن أن يكون مدلولها العلم ، فلا بد من صفات أخرى قائمة بذات الله تعالى ، تكون تلك الصفات مدلولة الألفاظ الدالة على الطلب ، والألفاظ الدالة على الخبر ، وتلك المدلولات يمتنع كونها مبادئ عن ذات الله تعالى ، بل يجب كونها قائمة بذات الله تعالى .

فالذى يقوله المعتزلة من أنه يجوز أن يكون الحي متكلما بكلام قائم بالغير : حق وصدق . والذى يقوله أصحابنا من أنه يمتنع أن يكون الحي متكلما بكلام قائم بالغير : حق وصدق . إلا أن الكلام الذى يشير إليه المعتزلة له معنى ، والكلام الذى يشير إليه أصحابنا له معنى آخر .

والفرقان لما لم يستغلوا بتلخيص محل النزاع ، لا جرم خفيت هذه المباحث والمطالب .

وأما المقام الرابع : وهو أن كلام الله تعالى واحد ، ومع كونه واحدا ، فهو أمر ونهي وخبر . فتحقيق الكلام فيه يرجع إلى عرف واحد ، وهو أن الكلام كله خير ، لأن الأمر عبارة عن تعريف الغير أنه لوفعله ، لصار مستحقا للمدح ، ولو تركه لصار مستحقا للذم . وكذا القول في النهي . وإذا كان المرجع بالكل إلى شيء واحد ، وهو الخبر ، صح قولنا : إن كلام الله تعالى واحد . فهذا جموع ما تلخص في هذا الباب .

واحتاج القائلون بحدوث كلام الله تعالى بالمنقول والمعقول :^(١) أما الشبه النكلية فمن وجوه :

(١) نص خطاب أمير المؤمنين «المأمون» رضي الله عنه إلى «إسحق بن إبراهيم» هو: «أما بعد». فإن حق الله على أئمة المسلمين وخلفائهم: الاجتهد في إقامة دين الله الذي استحفظهم، ومواريث النبوة التي أورثهم، وأثر العلم الذي استودعهم، والعمل بالحق في رعيتهم، والتشمير لطاعة الله فيهم . والله يسأل أمير المؤمنين أن يوفقه لعزيمة الرشد وصرمته ، والإقسام فيما لا له من رعيته — برحمة ومنتها .

وقد عرف أمير المؤمنين أن الجمورو الأعظم والسود الأكبر من حشو الرعية ، وسفلة العامة ، من لا نظر له ، ولا رؤية ولا استدلال له بدلالة الله وهدايته ، والاستضاء بنور العلم وبرهانه في جميع الأقطار والآفاق ، أهل جهالة بالله ، وعمى عنه ، وضلاله عن حقيقة دينه وتوحيده ، والإيمان به ، ونكوب عن واضحات أعلامه وواجب سبيله ، وقصور أن يقدروا الله حق قدره ، ويعزروه كنه معرفته ، ويفرقون بينه وبين خلقه: لضعف آرائهم ونقص عقولهم وبجائزهم عن التفكير والتذكرة .

وذلك أنهم ساواوا بين الله تبارك وتعالى وبين ما أنزل من القرآن . فأطريقوا مجتمعين ، واتفقوا غير متعاجزين على أنه قديم أول ، لم يخلفه الله ويحده ويخترعه . وقد قال الله عز وجل في محكم كتابه ، الذي جعله لما في الصدور شفاءً وللمؤمنين رحمة وهدى: «إنا جعلناه قرآنًا عربياً». فكل ما جعله الله فقد خلقه ، وقال: «الحمد لله الذي خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور». وقال عز وجل: « كذلك نقص عليك من أنباء ما قد سبق». فأخبر أنه قصص لأمور أحدثه بعدها وتلاها به متقدمها ، وقال: «ألر كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير». وكل محكم مفصل فله محكم مفصل .

ولله محكم كتابه ومفصله فهو خالقه ومبتدعه .

ثم هم الذين جادلوا بالباطل . فدعوا إلى قومهم ونسبوا أنفسهم إلى السنة . وفي كل فصل من كتاب الله قصص من تلاوته ، مبطل قويم . ومكذب دعواهم ، يرب عليهم قويم ونحوهم . ثم أظهروا مع ذلك أنهم أهل الحق والدين والجماعة ، وأن من سواهم أهل الباطل والكفر والفرقة ، فاستطاعوا بذلك على الناس وغزوا به المبهال ، حتى مال قوم من أهل الشتم الكاذب . والتباخش لغير الله ، والتتشف لغير الدين ، إلى مواقفهم عليه ، ومواطأتهم على سبي آرائهم ، تزيينا بذلك عندهم ، وتصنعا للرياسة والعدالة فيهم . فتركوا الحق إلى باطلهم واتخذوا دون الله ولبيحة إلى ضلالتهم .

الشبيهة الأولى : إن القرآن ذكر ، وكل ذكر محدث ، فالقرآن محدث . وإنما
قلنا : إن القرآن ذكر ، لقوله تعالى : « ص . والقرآن ذي الذكر »^(١) ، وقوله
تعالى :

= فقبلت بتزكيتهم لهم شهادتهم ، ونفذت أحكام الكتاب بهم على دغل دينهم ، ونجل أديفهم ،
وفساد نياتهم وبقائهم . وكان ذلك غايتهم التي إليها أجدوا ، وإليها طلبو في متابعتهم والكذب على
مولاهם . وقد أخذ عليهم . « ميثاق الكتاب ألا يقولوا على الله إلآ الحق ودرسو ما فيه » —
« أولئك الذين لعنهم الله وأصمهم وأعمى بصارهم أفلأ يتذربون القرآن أم على قلوب
أففاحها ». فرأى أمير المؤمنين : أن أولئك شر الأمة ، ورؤوس الضلال ، المتقوصين من التوحيد
حظا ، والمخسوسون من الإيمان نصبا . وأوعية الجهالة وأعلام الكذب ، ولسان إيليس الناطق في
أوليائه ، والمائل على أعدائه من أهل دين الله ، وأحق من يتهم في صدقه ، وتطرح شهادته لا يُوثق
بقوله ولا عمله . فإنه لا عمل إلا بعد يقين ، ولا يقين إلا بعد استكمال حقيقة الإسلام ، والخلاص
التوحيد .

ومن عمي عن رشه وحظه من الإيمان بالله ويتوجهه ؛ كان عما سوى ذلك من عمله والقصد في
شهادته أعمى وأضل سبيلا .

ولعمر أمير المؤمنين إن أحجى الناس بالكذب في قوله ، وتخرص الباطل في شهادته : من كذب
على الله ووجهه ، ولم يعرف الله حقيقة معرفته : وإن أولاهم برد شهادته في حكم الله ودينه : من رد
شهادة الله على كتابه ، وبهت حق الله بباطلاته .

فاجع من بحضرتك من القضاة ، وقرأ عليهم كتاب أمير المؤمنين هذا إليك . فابداً بامتحانهم
فيما يقولون ، وتكشفهم عما يعتقدون في خلق الله القرآن ، وإحداثه ، وأعلمهم : أن أمير المؤمنين غير
مستعين في عمله ، ولا واثق فيما قلده الله واستحفظه من أمور رعيته بن لا يوثق بدينه ، وخلوص
توحيده ويقينه .

فإذا أفروا بذلك ووقفوا أمامي فيهم ، وكانتوا على سبيل المدى والتجاه ، فمرهم ينص من
بحضرهم من الشهود على الناس ، ومساءاتهم على علمهم في القرآن وترك إثبات شهادة من لم يفتر أنه
خلق محدث ، ولم يره . والامتناع من توقيعها عنده .

واكتبه إلى أمير المؤمنين بما يأتيك عن قضية أهل عملك في مساءتهم ، والأمر لهم بمثل ذلك . ثم
أشرف عليهم وتفقد آثارهم حتى لا تنفذ أحكام الله إلا بشهادة أهل البصائر في الدين ، والإخلاص
للتوحيد . واكتبه إلى أمير المؤمنين بما يكون في ذلك . إن شاء الله » أ.ه.

(١) سورة ص ، الآية الأولى .

﴿ وهذا ذكر مبارك أَنْزَلْنَاهُ ﴾^(١) ، قوله تعالى ﴿ وَإِنَّهُ لِذِكْرِكَ لَكَ وَلِقَوْمِكَ ﴾^(٢) ، وأما أن كل ذكر محدث ، ففي سورة الأنبياء : ﴿ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رِبِّهِمْ مُحَدَّثٌ ﴾^(٣) ، وفي سورة الشعراء : ﴿ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ الرَّحْمَنِ مُحَدَّثٌ ﴾^(٤) .

الشبهة الثانية : تمسكوا بقوله تعالى : ﴿ إِنَّا قَوْلَنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرْدَنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ : كَنْ فِي كُونٍ ﴾^(٥) وجه الاستدلال به من ثلاثة أوجه :

الأول : إن قوله تعالى : ﴿ إِنَّا قَوْلَنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرْدَنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كَنْ فِي كُونٍ ﴾ جملة مركبة من شرط وجاء . والشرط هو قوله : «إذا أردناه» . والجزاء هو قوله : «كن» . والجزاء لا بد وأن يكون متاخراً عن الشرط . فوجب أن يكون قول الله تعالى ، متاخراً عن إرادته . والتأخر عن الغير محدث ، فوجب أن يكون قول الله محدثاً .

والثاني : وهو إن للفاء في قوله «فيكون» فاء التعقيب . وهذا يقتضي أن يكون المكون حاصل عقىب قوله من غير فصل ولا ترافق ، فيلزم أن يكون قوله «كن» متقدماً ما على المكون من غير فصل . والمقدم على المحدث بزمان واحد ، يجب أن يكون محدثاً ، فيلزم أن يكون قوله «كن» محدثاً .

الثالث : إن الآية صريحة في أن قول الله تعالى : «كن» الكلمة مركبة من الكاف والنون . وهما حرفان متعاقبان . فتكون هذه الكلمة محدثة ، فيلزم أن يكون قول الله محدثاً .

(١) سورة الأنبياء ، الآية ٥٠ .

(٢) سورة الزمر ، الآية ٤٤ .

(٣) سورة الأنبياء ، الآية ٢ .

(٤) سورة الشعراء ، الآية ٥ .

(٥) سورة النحل ، الآية ٤٠ .

الشبهة الثالثة: قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ﴾^(١) فكلمة «إذ» ظرف زمان وهذا يدل على أن قول الله تعالى مختص بذلك الوقت . وكل ما كان وجوده مختصا بوقت معين ، كان محدثا فيلزم أن يكون قول الله تعالى محدثا .

الشبهة الرابعة: إنه تعالى وصف القرآن بقوله: ﴿كِتَابٌ أَحَكَمْتَ آيَاتِهِ، ثُمَّ فَصَلَّتْ﴾^(٢) وقال أيضاً: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾^(٣) وهذا يدل على أن القرآن مركب من السور والآيات والحرروف والعبارات ، ويدل على أن كلام الله تعالى تارة يكون عربياً وتارة يكون عبرياً . وكل ذلك يدل على أنه محدث مخلوق .

الشبهة الخامسة: إن كلام الله تعالى مسموع ، ويدل عليه قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ، فَأَجْرُهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾^(٤) والذي يسمعه ليس إلا هذه الحروف والأصوات . ولا شك أن هذه الحروف والأصوات محدثة ، فيلزم القطع بأن كلام الله تعالى محدث .

الشبهة السادسة: أجمعت الأمة على أن القرآن واحد ، وأجمعوا على أن القرآن معجزة لمحمد عليه السلام . والدليل العقلي دل على أن المعجزات يتبع أن تكون قديمة ، بل يجب أن تكون محدثة . وإلا لكان المعجزة سابقة على الدعوى ، وحيثند لا يكون له اختصاص بالدعوى ، فلا يكون دليلاً على صدق الدعوى . وإذا ثبت أن القرآن معجز ، وثبت أن المعجز محدث ، ثبت أن القرآن محدث . وإذا ثبت أن القرآن واحد ، ثبت أن كل ما كان قرآننا فهو محدث .

الشبهة السابعة: إن القرآن موصوف بكونه تنزيلاً ومنزلاً . وذلك يقتضي كونه محدثاً .

(١) سورة البقرة ، الآية ٣٠ .

(٢) سورة هود ، الآية ٢ .

(٣) سورة يوسف ، الآية ٢ .

(٤) سورة التوبه ، الآية ٦ .

الشبيهة الثامنة: صح في الأخبار أنه عليه السلام كان يقول: «يا رب القرآن العظيم ، وبا رب طه ويسن» وكل ما كان مربوبا فهو محدث مخلوق .

فهذا جملة الكلام في الشبه النقلية .

وأما الشبه العقلية فمن وجوه :

الشبيهة الأولى : أن الأمر سواء قلنا بأنه عبارة عن الحروف والأصوات ، أو قلنا إنه معنى قائم بالنفس ، فإنه يتبع أن يكون قدیماً . وذلك لأنه ما كان في الأزل مأمورا ولا منهياً ، ولو حصل الأمر والنهي من غير حضور المأمور والمنهي ، كان هذا سفها وجتنا . والدليل عليه : إن الواحد منا لو جلس في بيته وحده ، ويقول : يازيد قم ، وياعمر واجلس ، من غير أن يكون هناك أحد ، قضى كل عاقل بكونه جنوننا . وما كان كذلك كيف يعقل إثباته في حق الله تعالى .

وكيف يحسن في العقل أن يقول : «يا موسى إني أنا ربك فاخلع نعليك »^(١) مع أنه لم يكن هناك موسى ، ولا أحد . وأيضاً : لو كان تعالى مخبرا في الأزل عن كيفيات الأشياء ، لكان ذلك الخبر إما أن يكون المقصود منه إخبار نفسه — وهو عبث — أو إخبار غيره ، أو لا يكون المقصود منه إخبار نفسه ولا إخبار غيره . أما إخبار نفسه فهو عبث . وأما إخبار غيره مع أنه ليس هناك غيره فهو جنون . وأما أن لا يكون المقصود منه ، لا هذا ولا ذاك ، فهو مخصوص العبث والسفه .

لا يقال : لم لا يجوز أن يقال : إن ذلك الأمر الازلي كان أمرا في الأزل للأشخاص الذين سيوجدون في لا يزال ، كما أنه تعالى كان قادر في الأزل على أن يوجد الخلق في لا يزال .

(١) سورة طه ، الآية ١٢ .

وأيضاً: أليس أن النبي صلى الله عليه وسلم وأله وسلم كان يأمر وينهى حال حياته كل من سيوجده بعده إلى قيام القيمة؟ فثبتت: أن تقدم الأمر على المأمور غير ممتنع.

لأننا نقول: الأمر عبارة عن الطلب. وتحقيق وجود الطلب مع أنه ليس هناك من يطلب منه شيء، حال في العقول. بل العزم على الطلب قد يتقدم على الطلب. مثل أن الواحد منا إذا علم أنه سيوجد له ولد، فإنه في الحال يعزّم على أنه يوجد له ذلك الولد، وبعد وجوده يطلب منه تحصيل العلم والأدب. فاما أن يقال: إنه قبل وجود الولد، يطلب منه تحصيل العلم والأدب، فهذا البتة غير معقول.

وأما أن قوله بأن النبي عليه السلام كان يأمر حال حياته وينهى كل من يوجد بعده إلى قيام القيمة.

فنقول: هذه مغالطة. وذلك لأن النبي صلى الله عليه وأله وسلم [ما كان له أمر ونهي على الخلق بل هو عليه السلام] كان^(١) يخبرنا أن أولئك الذين سيوجدون بعدي يحدث الله عليهم حال وجودهم وكمال عقلهم، أنواعاً من الأمر والنهي. وذلك الإخبار إنما حَسْنَ من الرسول عليه السلام لأنه حضر هناك من يسمع ذلك الخبر ويبلغه إلى الذين سيوجدون بعد ذلك. أما في الأزل فليس هناك أحد البتة يسمع ذلك الخبر، ويبلغه إلى الذين سيوجدون بعد ذلك. فظاهر أن هذا المثال مغالطة محضة.

(١) كان يخبرنا: أ.

الشبيهة الثانية: أنه سبحانه وتعالى أخبر بلفظ الماضي في مواضع كثيرة من القرآن. كقوله: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا﴾^(١) و﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾^(٢) و﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تَنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾^(٣) فلو كان هذا الإخبار قدّيماً أزلياً، لكان قد أخبر في الأزل عن شيء مبني قبله. وهذا يقتضي أن يكون الأزل مسبوقاً بغيره، وأن يكون كلام الله تعالى كذباً، ولما كان واحداً منهما محلاً، علمنا أن هذا الإخبار يمتنع كونه أزلياً.

الشبيهة الثالثة: إن كلام الله تعالى لو كان قدّيماً أزلياً، لكان باقياً أبداً. لأن ما ثبت قدمه يمتنع عدمه، فيكون قوله تعالى لـ «زيد»: «صل» باقياً، بعد أن صل زيد صلبة الصبح وبعد أن مات، وبعد أن قامت القيمة. وهكذا يكون باقياً أبداً الآباء ودهر الادهرين. ومعلوم أن ذلك على خلاف المعقول. فإنه تعالى إذا أمر عبداً بفعل من الإفعال، فإذا أتى ذلك العبد بذلك الفعل، لم يبق ذلك الأمر متوجهاً عليه. وإذا ثبت أن ذلك الأمر قد زال، ثبت أنه كان محدثاً لا قدّيماً.

الشبيهة الرابعة: أجمعت الأمة على أن النسخ حق، والننسخ عبارة إما عن ارتفاع الحكم بعد ثبوته، وإما عند انتهائه. وأيا ما كان، فهو يقتضي زوال ذلك الأمر وذلك الخطاب بعد ثبوته. وكل ما زال بعد ثبوته، لم يكن قدّيماً. لأن ما ثبت قدمه، استحال عدمه.

الشبيهة الخامسة: لو كان كلام الله قدّيماً أزلياً، لكان تعلقه بتعلقاته ثابتـاً له لذاته. ولو كان كذلك لكان عام التعلق بكل ما يصبح تعلقه به، ولما كان من

(١) سورة نوح، الآية الأولى.

(٢) سورة القدر، الآية الأولى.

(٣) سورة البقرة، الآية ٦٣.

مذهبكم أن الحسن والقبح لا يثبتان إلا بالشرع ، فإذاً كل ما كان مأموراً لا يمتنع أن يكون منهياً .

وكل ما كان منهياً لا يمتنع أن يكون مأموراً فيلزم تعلق أمر الله تعالى بجميع الأشياء ، وتعلق نهيه بجميعها . ويلزم أن تكون جميع الأشياء مأمورة منهية حسنة قبيحة . وكل ذلك محال . فثبت أن كلام الله يمتنع أن يكون أزلياً .

والجواب :

أما جميع الشبه السمعية

فالجواب عنها شيء واحد . وهو أن تُصرف كل تلك الوجوه إلى هذه الحروف والأصوات . فإننا معترضون بأنها محدثة . وعندهم القرآن ليس إلا ما ترکب عن هذه الحروف والأصوات ، فكانت الدلائل التي ذكروها دالة على حدوث هذه الحروف والأصوات . ونحن لا ننزع في ذلك . وإنما ندعى قدم القرآن ، بمعنى آخر . فكانت كل هذه الشبه ساقطة عن محل النزاع .

وأما الجواب عن الشبه العقلية :

فالجواب عن الشبهة الأولى : فهو أنها معارضه بالقدرة . فإنها صفة تقضي صحة الفعل ، ثم إنها كانت ثابتة في الأزل مع أن الفعل كان ممتنعاً . فلم لا يجوز أن يقال : الأمر عبارة عن الصفة المقتصية لطلب الفعل ، ثم إنها كانت ثابتة في الأزل ، مع أن طلب الفعل كان في الأزل حالاً ؟

والجواب عن الشبهة الثانية : إنه تعالى كان عالماً في الأزل بأنه سيخلق العالم ، ثم لما خلقه في لا يزال ، صار العلم متعلقاً بأنه قد خلقه في الماضي . ولما لم يقتضي هذا حدوث هذا العالم وتغييره ، فكذا في الخبر .

والجواب عن الشبهة الثالثة والرابعة : هو أن قدرته تعالى كانت متعلقة من الأزل إلى الأبد بإيجاد العالم . ولا أوجد العالم لم يبق ذلك التعليق ، لأن إيجاد الموجود محال ولما زال هذا التعلق ، ولم يقتض ذلك حدوث قدرة الله تعالى ؛ فكذا القول في الكلام .

والجواب عن الشبهة الخامسة : أن قدرة الله تعالى لها صلاحية التعلق بإيجاد كل الممكنات ، ثم إنها تعلقت بإيجاد البعض دون البعض ، مع أن هذه القدرة قديمة . وإذا عقل ذلك في القدرة ، فلم لا يعقل مثله في الكلام ؟ .

فهذا جملة الكلام في هذه المسألة .

[تم الكتاب]

الفهرس

التقدیم للكتاب للمحقق الدكتور أَحْمَدُ حِجَازِيُّ السقَا	٥
مؤلف الكتاب للإمام فخر الدين الرازى	٤٩
المقدمة للرازى	٥١
الفصل الأول: في حقيقة الكلام	٥٢
الفصل الثاني: في إثبات كونه تعالى متكلماً	٥٨
الفهرس	٧٢